نصوص

مسرحية

على باب الوزير

احتفال مسرحي في نفسين

كل مشابهة مع الواقع لا علاقة لها بالصدفة

الإهداء

- إلى كل المدرسين والمدرسات
- إلى كل الذين علمونا كيف نكتب الحروف وكيف نركب الكلمات
- وإلى كل الذين التقينا بهم على حصير الكتاب يوماً، أو الذين جلسنا أمامهم على مقاعد المدارس والمعاهد والجامعات، أو الذين رافقونا ورافقناهم على صفحات الكتب
- وإلى كل الذين بينوا لنا كيف نفهم معنى الأشياء، وكيف ندرك معنى الصور ومعنى العبارات
- وإلى كل الذين ساعدونا على أن نواجه أوجاع سؤال الوجود، وأن نتعايش مع كل أصناف الكائنات الموجودات والمكتشفات والمبتكرات
- وإلى كل الذين أعطونا سر الكلمة المؤسسة للمعرفة، والذين أعطونا كلمة السر التي تفتح كل المغلقات، وتفك كل الرموز وكل الشفرات
- وإلى كل الذين أضاءوا لنا - بنور علمهم وفنهم ـ ظلمة الدروب وعتمة الأنفاق والطرقات الموحشة
- وإلى كل الذين ساعدونا على أن نعرف شيئاً عن ألغاز وطلاسم هذه الحياة المؤثثة بالعلامات والإشارات
- إلى كل أساتذتي - أساتذتنا أهدي هذا الاحتفال المسرحي الجديد

عربون محبة وتقدير وعرفان

شخصيات الاحتفال

المرأة – صليحة : المدرسة

عبد العلـــــي : زوجها

سلطـــــــان : ابنها

والد صليحـــة : في لعبة التذكر

عبد العلـــي 2 : في لعبة التذكر

رابــــــــح : الوزير

مونيكـــــا : المدام زوجته

حيـــــاة : الخادمة

رئيس الخدم

الحاج البواب

الخـــــادم 1

الخـــــادم 2

الخـــــادم 3

صوت الراديو

النفس الأول

1 - استهلال

(في بيت عتيق جداً، نرى امرأة وحدها داخل بقعة ضوء،تتحرك المرأة العجوز على كرسي هزاز وهي تتأمل ما حولها في صمت ،تتسع بقعة الضوء أكثر فأكثر، وتتضح كل معالم البيت الأخرى ،في الخلف، يظهر جهاز راديو قديم وكبير جداً، كبير إلى الحد الذي يمكن أن يصبح فيه خلفية البيت كله، الشيء الذي يجعله على صورة أبواب وشبابيك وستارات ونوافذ ورفوف كتب تلتفت المرأة إلى الراديو، وتعمل على تشغيله)

الراديـــــو : سيداتي سادتي.. السلام عليكم ورحمة الله تعالى بركاته..

المــــــــرأة : (للجمهور) ماذا تنتظرون؟ لقد قال لكم السلام عليكم، ألا تسمعون؟ المفروض أيها السادة أن تردوا التحية بأحسن منها، أليس كذلك؟ (تلتفت للراديو) وعليك السلام ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد.. (فاصل موسيقي) آه ... نسيت .. لابد من الموسيقا..

الراديـــــو : أيتها السيدات والسادة، يسر إذاعتنا الجهوية أن تقدم الليلة..

(فاصل موسيقي)

المــــــــرأة : مرة أخرى .. الموسيقا.

الراديـــــو : .. على باب الوزير.. (موسيقا)

المــــــــرأة : هذه رواية تمثيلية بلا شك..

الراديـــــو : نعم، هي رواية اجتماعية سياسية، فكرية، فكاهية، درامية، نقدية، واقعية، وهادفة جداً جداً و..

المــــــــرأة : و.. يكفي.. موسيقا من فضلك.. (فاصل موسيقي)

الراديـــــو : تأليف الكاتب الناشئ والمبتدئ والشاب الأديب عبد الكريم برشيد..

للمــــــــرأة : عبد الكريم برشيد.. هذا الاسم لا أعرفه..

الراديـــــو : وحتى هو لا يعرفك..

المـــــــرأة : أنا يكفيني أن الله يعرفني..

الراديـــــو : إخراج: الأستاذ الكبير والخطير .. (يذكر اسم مخرج المسرحية)

المـــــــرأة : وحتى هذا الاسم لا أعرفه..

الراديـــــو : من سوء حظه المسكين..

المـــــــرأة : آه منك يا زمان، لقد تغيرت الدنيا، وتبدل كل ذلك الذي كان.. رحم الله تلك الأيام التي مضت.. أيام بوشعيب البيضاوي والبشير العلج والقدميري والصويري والحريزي ومحمد بلقاس وعبد الجبار الوزير والعربي الدغمي.. كنا نضحك حقاً.. أما الآن فلا ..

الراديـــــو : تمثيل الفنانة الكبيرة والمبدعة المقتدرة (يذكر اسم الممثلة الرئيسية في المسرحية)

المـــــــرأة : آه.. أما هذه فأظن أنني أعرفها.. أليست هي تلك التي تشبهني وأشبهها، والتي.. (موسيقا .. تواصل تحريك شفتيها من غير أن يُسمع ما تقول)

الراديـــــو : هذه الرواية التمثيلية العجيبة، تقدمها لكم فرقة..(يذكر اسم الفرقة واسم المدينة واسم البلد.. موسيقا..)

المـــــــرأة : فرقة ال.. لا أعرفها.. وفي الحقيقة أنا لا أعرف إلا فرق زمان.. آه.. لا شيء أصبح اليوم كما كان، وسبحان مغير الأزمان..

الراديـــــو : تشخيص.. (يذكر أسماء الممثلين والتقنيين المساهمين في المسرحية)

صـــــــوت : (خارجي هو صوت الزوج) غيري هذه المحطة الإذاعية .. غيريها.. ألا تسمعين يا صليحة؟

المـــــــرأة : أغيرها؟

الراديـــــو : أما أنا فإنني أنصحك ألا تغيريها سيدتي..

المـــــــرأة : ولماذا تريدني أن أغير المحطة ياعبد العلي ؟

عبد العلـــي : (وهو يطل عليها من نافذة وقد وضع عل رأسه قبعة الطباخين) إنها تسألني لماذا؟ وأقول لها لماذا.. لأنها يا مولاتي صليحة.

أصلحك اللّه ـ لا تعجبني، وهي تذكرني بالذي سوف يحدث لنا .. (يصبح اسمها صليحة)

صليحـــــــة : عجباً.. وكيف عرفت أنت الذي سوف يحدث لنا؟ هل أنت عراف؟

عبد العلـــي : لا .. أنا الآن طباخ.. طباخ حتى إشعار آخر. آه .. كيف عرفت.. كيف عرفت.. ذلك هو اللغز الأكبر يا زوجتي.. ألا تعرفين يا مولاتي، بأنني أعلم بعض ما لا تعلمين؟

صليحـــــــة : سبحان اللّه.. مع أن المعلمة في هذا البيت هي أنا وليس أنت..

عبد العلـــي : شيء آخر، وهو أنني لا يمكن أن أسمع ما يسمع الناس.. كل الناس، فأنا رجل ـ يا صليحة ، ذوقه صعب.. صعب جداً جداً..

صليحـــــــة : ليس ذوقك فقط، فأنت كلك مخلوق صعب..

عبد العلـــي : شكراً على هذا الإطراء..

صليحـــــــة : لم تقل لي.. أين كنت كل هذا الوقت ياعبد العلي ؟

عبد العلـــي : أين كنت؟ كنت في المطبخ يا مولاة الدار..

صليحـــــــة : أعوذ باللّه.. المرأة في الصالون والرجل في المطبخ..

عبد العلـــي : نعم، وهذه واحدة من علامات التقدم.. لقد صنعت لك حلوى رائعة جداً..

صليحـــــــة : أنت؟

عبد العلـــي : ركبتها بمعرفتي واجتهادي الشخصي، وستكون إن شاء اللّه تعالى آية في الحلاوة والطراوة..

صليحـــــــة : آية في الحلاوة؟ وكيف عرفت ذلك؟

عبد العلـــي : كيف عرفت؟ قد أكثرت من السكر ومن العسل ومن المربي ومن التمر ومن الشوكولاتة و..

صليحـــــــة : سيقتلني هذا الرجل يوماً.. متى تفهم ياعبد العلي بأن هذا شغل النساء؟

عبد العلـــي : أبداً.. بل هو شغل الرجال أيضاً، خصوصاً أولئك الذين يحالون على المعاش مثلي.. ماذا تريدين مني أن أصنع يا صليحة؟

صليحـــــــة : لا تصنع شيئاً..

عبد العلـــي : لقد قدمت طلباً حتى أفتح كشكاً للمرطبات، ولحد الآن مازلت أنتظر..

صليحـــــــة : قبح اللّه قلة الشغل.. حقاً.. إنه لا شيء أقسى على العاملين من ألا يشتغلوا ،ألا يعملوا أي شيء..

عبد العلـــي : اسمعي يا مولاة الدار، سأضع الحلوى في الفرن الغازي، وعندما تستوي، أضعها في الثلاجة وأعود إليك..

صليحـــــــة : يا ويلتي من ضرتي الثلاجة..هذا الرجل لا يعرف في البيت غيرها.. إنها همه الأكبر، وفي ذاكرته ثقب كبير وخطير يسمى.. ماذا يسمى ياعبد العلي ؟

عبد العلـــي : يسمى الثلاجة .. (يضحكان)

2 - عقارب الساعة المسمومة

صـــــــوت : (خارجي) أمي.. يا أمي .. أين الحذاء؟ دليني على حذائي..

صليحـــــــة : (للجمهور) هذا ولدي سلطان.. تبارك الله، لقد ازداد عرضاً وطولاً وأصبح رجلاً.. ماذا تريد يا سلطان؟

(يدخل سلطان وهو حافي القدمين، يمسك بيده فردة حذاء)

سلطـــــــان : أمي.. يا أمي.. أين حذائي العتيق.. إنني لم أجده، فهل طار في السماء؟

صليحـــــــة : ربما..

سلطـــــــان : أم تراه تبخر في هذا الهواء؟

صليحـــــــة : كل شيء جائز في هذا البيت.. (تضحك) هو في يدك أيها المعتوه..

سلطـــــــان : في يدي؟ لا.. لا .. إنني أقصد الفردة الأخرى.. الأخرى قلت لك.. ألا تفهمين يا أمي؟

صليحـــــــة : معك ومع أبيك لم أعد أفهم شيئاً.. (صمت) هل بحثت تحت الفراش يا سلطان؟

سلطـــــــان : نعم، وتحت الكراسي أيضاً، وتحت اللحاف، وتحت التلفاز، وتحت كال شيء أيضاً..

صليحـــــــة : تحت كل شيء؟

سلطـــــــان : تقريباً..

صليحـــــــة : (تضحك) لقد عرفت.. هي موجودة فيها بلا شك..

سلطـــــــان : فيها؟ ماذا تقصدين يا أمي؟

صليحـــــــة : افتح الثلاجة وسوف تجدها فيها إن شاء الله ..

سلطـــــــان : ما هذا؟ الحذاء في الثلاجة؟ هذا هو الحمق بعينيه يا أمي .. هذا جنون، هذه فوضى، هذا شيء لا يطاق..

صليحـــــــة : وماذا تريدني أن أفعل لك؟ أبوك هو هكذا.. إنه لا يجد شيئاً أمامه إلا وأدخله الثلاجة .. (تضحك)

سلطـــــــان : يا أمي الفاضلة.. يا بنت الناس الطيبين.. لست أدري كيف تزوجت هذا الرجل المتعب..

صليحـــــــة : ماذا تقول يا سلطان .. هو أبوك الذي ليس لك غيره.. هل نسيت؟

سلطـــــــان : هل نسيت؟ ليت أني كنت أقدر أن أنسى..

صليحـــــــة : يا ويلي.. أهذا كلام يقوله ولد متعلم مثلك؟

سلطـــــــان : إنني يا أمي..

صليحـــــــة : اسكت.. اسكت ولا تضف شيئاً.. لست أدري ماذا كنت تدرس في الجامعة..

سلطـــــــان : كنت أدرس الحقوق يا أمي..

صليحـــــــة : أبداً.. أنت كنت تدرس العقوق.. أنت عاق بامتياز.. يا ويلي.. لقد ولدت بغلاً وأنا لا أدري..

سلطـــــــان : ماذا تقولين يا أمي؟ أنت أنجبت سيد الناس..

صليحـــــــة : ليتك كنت صادقاً يا رأس الغول..

سلطـــــــان : لقد أنجبت زين الشباب قلت لك.. وغداً يا أمي سوف ترين وتسمعين عني كل خير..

صليحـــــــة : ليت ذلك اليوم يأتي..

سلطـــــــان : تأكدي بأنه سوف يأتي.. المنطق يقول هذا..

صليحـــــــة : والمهم أن يأتي، وأن يجدني على قيد الحياة..

سلطـــــــان : أنت مازلت في قمة الشباب يا أمي، وإياك أن تصدقي الإدارة.. صدقيني أنا، واعلمي أن التقاعد هو بداية العمر الجميل..

صليحـــــــة : عجباً.. هذا كلام يمكن أن تقوله أنت؟

سلطـــــــان : ولم لا أقوله أنا يا أمي؟

صليحـــــــة : لأنه.. لأنه أكبر منك يا سلطان.. ينبغي أن تعرف بأنني امرأة سوف تموت..

سلطـــــــان : كلنا سوف نموت يوماً يا أمي..

صليحـــــــة : سأموت مسمومة بسمها، من غير أن يشعر بي أي أحد، لا أنت ولا أبوك، ولا أي واحد من الأهل والجيران..

سلطـــــــان : (منزعجاً) ماذا تقولين يا أمي، وأي سم تقصدين؟

صليحـــــــة : سم العقارب يا ولدي سلطان..

سلطـــــــان : العقارب؟ أي عقارب يا أمي؟

صليحـــــــة : عقارب الساعة.. ألا تعرفها؟ إنها عقارب مميتة وقاتلة ومدمرة.. اسألني أنا عن الزمن..

سلطـــــــان : سامحك الله يا أمي.. لقد صببت على رأسي ماء مثلجاً..

صليحـــــــة : إن الزمن يا سلطان هو أخطر السلاطين..

سلطـــــــان : (مازحاً) هو الأخطر؟ حتى مني أنا؟

صليحـــــــة : وهو أكبر المجرمين والقتلة، وهو أقذر الكذابين والمزيفين، وهو أفظع المكارين والدجالين والمهرجين..

سلطـــــــان : يا أمي.. رجاء لا تفكري في المجردات، وصدقيني، إنه لا شيء يقتل ويميت إلا هو..

صليحـــــــة : هو .. هو من يا سلطان؟

سلطـــــــان : مولانا الفقر عليه أكبر اللعنات.. نعم، هو وحده دون سواه، هو أبو العاهات والأمراض والموبقات، إنه مرض هذا العصر ومرض ذلك العصر ومرض كل عصر.. المهم يا أمي أن يكون لدينا المال الوفير.. نعم المال ثم المال ثم المال، وبعد ذلك يمكن أن نقهر المحال..

صليحـــــــة : (للجمهور) هذا الولد يخيفني..

سلطـــــــان : لا تخافي يا أمي، فغداً سيصبح الحال غير الحال، ويكون ولدك سلطان سيد الرجال.. ويكون سيد النساء أيضاً.. (يضحكان)

عبد العلـــي : (يأتي صوته من بعيد) سلطان .. ولدي سلطان .. تعال بسرعة..

سلطـــــــان : هذا أبي.. يعلم لله ماذا يريد مني..

صليحـــــــة : اذهب إليه وسوف تعرف كل شيء، وإن شاء الله ..إن شاء الله ستجد عنده كل ما يسرك..

سلطـــــــان : أجد ما يسرني؟ لا أظن..

صليحـــــــة : هو في المطبخ ينتظرك .. (يخرج تشيعه ضحكات أمه)

3 - الراديو وآخر الأخبار.. السيئة..

(تعود صليحة إلى الكرسي الهزاز من جديد، ثم تشرع في البحث عن محطة إذاعية أخرى)

الراديـــــو : (موسيقا ثم..) هنا صوت الهنود الحمر.. (موسيقا)

صليحـــــــة : ها ها .. صوت الهنود الحمر.. هل سمعتم؟ (للراديو) يا سيدي المذيع المحترم، والذي لا أعرفه ولا يعرفني، هل تعي حقاً ما تقول؟

الراديـــــو : والله يا سيدتي الفاضلة.. أتريدين الحقيقة؟

صليحـــــــة : نعم، ولا شيء إلا الحقيقة..

الراديـــــو : إن هذا الصوت هو صوت ما تبقى من الهنود الحمر..

صليحـــــــة : ما تبقى؟ لا إله لا الله.. (موسيقا جنائزية)

الراديـــــو : حملات الإبادة ما تركت منا إلا القليل..

صليحـــــــة : لا تبتئس يا ولد الناس، إن ما تبقى من الهنود الحمر ليس قليلاً كما تظن..

الراديـــــو : ليس قليلاً.. ماذا تقولين يا سيدتي؟

صليحـــــــة : لكم إخوة في كل بلاد الله الواسعة، إخوة من الهنود الحمر ومن الهنود السمر ومن الهنود السود أيضاً..

الراديـــــو : يا سيدتي.. يا سيدتي افهميني، نحن اغتصبت أرضنا..

صليحـــــــة : ونحن أيضاً.. اغتصبت أرضنا واغتصبت كرامتنا..

الراديـــــو : وتعرضنا لحملات الإبادة المنظمة، إن همنا الآن هو ألا ننقرض يا سيدتي..

صليحـــــــة : نحن أيضا مثلكم، إن أفظع ما نخشاه هو أن ننقرض

الراديـــــو : وعندما دافعنا عن أرضنا وعرضنا اتهمونا بكل التهم..

صليحـــــــة : نعم، أعرف ذلك..

الراديـــــو : قالوا إننا أعداء الحضارة والتمدن، وإننا نخاصم الرب الأبيض، ونخاصم أبناء الرب..

صليحـــــــة : يا ولدي، ماذا أقول لك، لقد استمعت إليك، وفهمتك جيداً، وذلك هو كل ما أقدر عليه.. إن العين بصيرة واليد قصيرة

ولا حول ولا قوة إلا باللّه.. أستسمحك سيدي في الانتقال إلى محطة إذاعية أخرى..

الراديـــــو : إلى لقاء آخر يا سيدتي..

صليحـــــة : رجاء يا سيدي المذيع البديع أن تنقل تحياتي الحارة إلى شعبك، ومعها كل تحيات الهنود السمر والسود في كل الدنيا..

الراديـــــو : سأفعل يا سيدتي.. سأفعل.. (تغير صليحة مؤشر الراديو نحو محطة أخرى)

(تنبعث من الراديو أصوات عالية هي فرقعات وانفجارات وهتافات)

صليحـــــة : (خائفة) يا ويلي.. ما هذا؟ بركان أم زلزال، أم هو انقلاب عسكري؟

الراديـــــو : سيدتي المواطنة الحرة في كل مكان، لا تقلقي ولا تفزعي..

صليحـــــة : آه، طمأنت قلبي يا ولدي..

الراديـــــو : أنت في الاستماع إلى محطتنا القومية.. أنت معنا وفي ضيافتنا، أهلاً بك وسهلاً..

صليحـــــة : أكرمك اللّه يا ولدي..

الراديـــــو : بعد قليل يا سيدتي سنقدم لك الأخبار .. (موسيقا حماسية)

صليحـــــة : (تنادي بأعلى صوتها)عبد العلي .. تعال لتسمع الأخبار..

عبد العلـــي : (من الخارج) لقد استمعت إليها بالأمس..

صليحـــــة : ماذا يقول هذا الرجل؟ هذه أخبار أخرى ياعبد العلي .. نعم، هي أخبار أخرى صدقني..

عبد العلـــي : (يطل عليها) دعيني يا مولاة الدار، إن شغلي أهم من نشرة الأخبار، ثم أيضاً، هل نسيت ماذا قال لي الطبيب؟

صليحـــــة : ماذا قال لك الطبيب؟

عبد العلـــي : قال لي : ابتعد عنها بالقدر الذي تستطيع..

صليحـــــة : عنها؟ تقصدني أنا أيها الخائن؟

عبد العلـــي : أبداً، بل عن الأخبار يا موالاة الدار، وعن عالم الأخبار

ومصائب الأخبار.. لقد قال لي: ابتعد عنها كثيراً كثيراً، إذا كنت تريد أن تعيش طويلاً طويلاً، هكذا تحدث الطبيب يا زوجتي..

صليحـــــة : ها.. ها.. أنت لا تحترم من أقوال الطبيب إلا ما يعجبك..

عبد العلـــي : نعم، وبذلك يعرفعبد العلي .. (يختفي)

الراديـــــو : (شعار نشرة الأخبار) سيداتي سادتي.. هنا صوت العربان من بلاد العربان..

صليحـــــة : اللهم يا رب العالمين أسمعنا خيراً.. آمين..

الراديـــــو : إليكم أخواتي وإخواني في كل مكان آخر الأخبار السيئة..

صليحـــــة : الأخبار السيئة. أنت بلا شك تمزح أيا الرجل؟

الراديـــــو : أبداً.. أبداً يا سيدتي المواطنة..

صليحـــــة : أليست لديكم أخبار أخرى جديدة؟ أخبار تكون سعيدة ومفرحة.. حتى ولو كانت مفرحة قليلاً فلا يهم..

الراديـــــو : أخبار مفرحة؟ وهذا اليوم؟ لا أعدك بشيء أيتها المواطنة..

صليحـــــة : الله الله، مسكين هو هذا اليوم التعس، وغداً يا سيدي ما قولك فيه؟

الراديـــــو : غداً؟ غداً لا أعرف عنه شيئاً، ولا أحد غيري يمكن أن يعرف عنه شيئاً.. من يدري، فقد تحدث المعجزة غداً، وأسمعك إن شاء الله أحلى الكلام..

صليحـــــة : يا سبحان الله.. لا تملكون كلاماً جديداً، ومع ذلك تصرون على الكلام..

الراديـــــو : يا سيدتي المواطنة الحرة الأبية..

صليحـــــة : بالله انتظر قليلاً ولا تقل شيئاً.. انتظر حتى أسألك سؤالاً صغيراً ثم من بعد أجب كما تشاء.. إنني فقط أريد أن أعرف- ومن حقي أن أعرف - لماذا كل هذه الإذاعات والتلفزات والمحطات السلكية واللاسلكية؟

الراديـــــو : يا سيدتي.. افهميني..

صليحـــــة : ولماذا تقيمون لهذا الإعلام وزارات وهيئات واتحادات ومنظمات وأجهزة متطورة؟ لماذا؟

الراديـــــو : تسألينني أنا يا سيدتي؟

صليحـــــــة : لست أنت بالتحديد، ولكنني أسألكم أنتم.. أنتم كلكم.. أجيبوا أيها الناس - إن كنتم فعلاً من الناس - أجيبوني، لماذا هذه الأخبار التي لا تخبر بشيء؟

الراديـــــو : الأمر سهل يا سيدتي..

صليحـــــــة : انتظر.. لم أكمل بعد، ثم أيضاً، وهذا هو الأهم الأهم، ألا ترون مثلي، لو توفرون هذه الأموال لأشياء أخرى.. أشياء تكون صادقة وحقيقية و.. ذات فائدة؟

الراديـــــو : يا سيدتي.. أنت بلا شك تعرفين أن الإعلام شيء خطير جداً..

صليحـــــــة : نعم أعرف، هو فعلاً خطير.. خطير علينا نحن المساكين..

الراديـــــو : يا سيدتي المواطنة المحترمة، دعيني على الأقل أقول..

صليحـــــــة : لا تقل شيئاً..

الراديـــــو : إنه لابد أن أقرأ الأخبار..

صليحـــــــة : الأخبار المعروفة ليست أخباراً، ألا تعرف هذا؟ يمكنك الآن أن تنصرف.. ضع أدواتك في محفظتك وانصرف.. انصرف في هدوء، وفي نظام وانتظام، ولا تفهم من هذا أنني أطردك..

الراديـــــو : يجب أن تسمعيني أيتها المرأة .. هل فهمت؟

صليحـــــــة : نعم أسمعك، ولكن ليس هذا اليوم..

الراديـــــو : ليس هذا اليوم؟ وغداً يا سيدتي؟

صليحـــــــة : غداً؟ غداً بظهر الغيب، ولا علم لي بعلم الغيب يا ولدي، فقد تحدث المعجزة الربانية وأسمعك في يوم من الأيام.. (تضع يدها على زر الراديو)

الراديـــــو : انتظري لحظة أخرى.. ثانية فقط..

صليحـــــــة : لن أنتظر.. (تطفئ الراديو) الله.. إنه لا شيء أجمل من الصمت..

(يدخل عبد العلي وهو يحمل عصا بيده)

4 - قالت : التربية مهنتي..

عبد العلـــي : (وهو يفتش في كل أركان البيت) أين هو؟

صليحـــــــة : هو؟ هو من ياعبد العلي ؟

عبد العلـــي : السارق الذي كان هنا.. دليني عليه، وأنا أدق لك رأسه دقاً دقاً.. (وهو يواصل التفتيش)

صليحـــــــة : يا هذا الرجل، ليس بالبيت أحد غيرنا..

عبد العلـــي : عجباً.. وصوت ذلك الرجل الذي سمعت؟

صليحـــــــة : كان صوت الراديو فقط..

عبد العلـــي : آهاه.. ولكن صوته كان عالياً، تماماً كما لو أنه كان يجادل أحداً..

صليحـــــــة : كان يجادلني أنا..

عبد العلـــي : لا.. غير ممكن..

صليحـــــــة : تصور ياعبد العلي ، لقد قال الراديو كلاماً غريباً وتافهاً، ولكنني أنا لم أسكت له..

عبد العلـــي : أعرفك.. ومتى كنت أنت تسكتين؟ فإذا كان هو راديو، فأنت راديو ونصف..

صليحـــــــة : لقد قال هو كلاماً..

عبد العلـــي : وقلت أنت كلاماً..

صليحـــــــة : وتطور الكلام بيننا إلى ما بعد الكلام..

عبد العلـــي : آه.. مجنون من يجاري المـــــــرأة : في الكلام..

صليحـــــــة : تطور إلى شيء يشبه السباب والشتم وتبادل الاتهام..

عبد العلـــي : يا سلام. ألف مرة قلت لك، إن الرجل الذي في الراديو لا يمكن أن يسمعك..

صليحـــــــة : لا يسمعني؟

عبد العلـــي : إن هذا الجهاز يا صليحة هو جهاز راديو، هل فهمت؟ جهاز راديو نعم، وليس جهاز تلفزيون..

صليحـــــــة : (تبتعد قليلاً لتحدث نفسها) غريب .. هذا الرجل أصبح يتوهم أشياء عجيبة.. يظنني أتوهم ما أقول.

عبد العلـــي : (في الجانب الآخر، وهو يحدث نفسه) نعم، هي تتوهم هذا

الذي تقول، وأظن أن هذا من أعراض الشيخوخة الظالمة.. الشيخوخة المبكرة طبعاً..

صليحـــــــة : غلط.. نعم غلط.. إنه يتوهم أنني قد شخت قبل الأوان.. شخت وضاع مني لجام تفكيري.. لا لا .. إنني أعرف جيدا ما أقول..

عبد العلـــي : وما تقولينه لا يمكن أن يصدقه العقل.. إنه لا أحد يمكن أن يحاور الراديو، هذا هو المحال، المحال ، المحال..

صليحـــــــة : (لنفسها) ومن قال إنني أحاور الراديو؟ إنني لا أحاور إلا نفسي.. نعم، إنني أحاورها بهمس مسموع، ومن حقي ذلك.. إنني أقول لها وأسمع منها، وأعطيها وآخذ منها، ومن يدري، فقد يصبح المحال الذي في أنفسنا كائناً وممكناً، ومن يمكن أن يدعي بأن اللامتوقع يمكن أن يقع؟ من يزعم هذا؟

عبد العلـــي : آه.. (للجمهور) نسيت أن أقول لكم شيئاً.. أن السيدة زوجتي مدرسة.. مدرسة سابقاً وليس لاحقاً.. وعلى يديها تخرجت أفواج من العلماء والفقهاء من رجال الدولة.. آه لو تعرفون، فقد كادت هذه المـــــــرأة : أن تكون نبياً أو رسولاً.. نعم نعم، قلت نبياً أو رسولاً، ولكنها أيها السادة - ولسوء حظ هذه الدنيا التعيسة - لم تكن.. إنه خطأ قاتل بلا شك.. خطأ فظيع في دواليب الزمن الذي لا يؤتمن.. خطأ ألا يكون المعلم نبياً أو رسولاً. أنا أيضاً مثلها، وإن كنت لست معلماً، فقد أحالوني على التقاعد وقالوا لي اقعد.. (بلهجة آمرة) اقعد.. فقعدت.. من قبل كنت مسؤولاً كبيراً وخطيراً.. نعم أنا.. كنت مديراً في مؤسسة إنسانية كبيرة.. آه.. رحم الله أمنا الإنسانية..

صليحـــــــة : (لعبد العلـي) لقد اخترت أن أكون مدرسة..

عبد العلـــي : مدرسة صبيان مشاغبين..

صليحـــــــة : لقد علمت الأطفال لمدة أربعين عاماً أو يزيد.. تلامذتي اليوم في كل مكان، وفي أهم المناصب، فيهم الطبيب والمحامي، وفيهم رجال الأعمال والذين لا عمل لهم أيضاً..

عبد العلـــي : مثل ولدنا سلطان..

صليحـــــــة : وفيهم الموظف والأجير، وفيهم المسؤول واللامسؤول أيضاً..

عبد العلـــي : نعم، ولكن. من منهم يعرفك اليوم يا بنت الناس؟

صليحـــــــة : تلك مهمتي ياعبد العلي .. مهمتي التي أديتها – يشهد الله– على الوجه الأكمل..

عبد العلـــي : لقد اختارت هذه المخلوقة تربية ابن آدم هواية ومهنة..

صليحـــــــة : وهي ـ وحق الله ـ أشرف مهنة..

عبد العلـــي : هي حقاً أشرف مهنة، ومن يمكن أن يقول عكس هذا، ولكنها أيضا أتعس مهنة، وأفقر مهنة، وتلك وحق الله هي المأساة، أو هي المهزلة، أو هي المهزلة بين المهزلتين.. لست أدري..

صليحـــــــة : يا الله.. ما أجمل تربية الأطفال الأبرياء..

عبد العلـــي : فعلاً، ما أجملها من مهنة، ولكن، ألا ترين يا مولاة الدار، أن تربية العجول أجمل منها؟

صليحـــــــة : العجول؟ ماذا تقول ياعبد العلي ؟

عبد العلـــي : أو تربية الماعز أو الدجاج أو الأرانب، أو حتى تربية الخنازير ..

صليحـــــــة : إنك تمزح بلا شك ياعبد العلي ؟

عبد العلـــي : أنا.. أبداً.. إنني أقول لنفسي دائماً لو أن حرمنا المصون، السيدة صليحة أصلحها الله، وسامحها الله، قد اشتغلت بتربية العجول لكان الحال اليوم غير الحال، ولكنت اليوم من أصحاب الجاه ومن أصحاب السلطة والمال..

صليحـــــــة : تقصد أن نكون أغنياء ياعبد العلي ؟

عبد العلـــي : تماماً يا مولاة الدار..

صليحـــــــة : ومن قال لك إننا لسنا أغنياء؟ نحن والحمد لله ..

عبد العلـــي : يا صليحة افهميني، هذه الحياة ليست مدرسة، وأنا لست تلميذاً.. أنت بلا شك نسيت متاعبنا المالية..

صليحـــــــة : أنا ما نسيت شيئاً أبداً..

عبد العلـــي : وهي متاعب لا تزداد مع الأيام إلا تضخماً..

صليحـــــــة : غداً يفرجها الله من عنده..

عبد العلـــي : وولدنا الذي لم يجد شغلاً.. هل نسيته يا صليحة؟

صليحـــــــة : عندما يشتغل كل الناس، سيشتغل هو أيضاً..

عبد العلـــي : آه يا ربي.. ليتنا نجد في تلاميذ هذه المربية عجلاً سميناً ينفع ولدنا سلطان..

صليحـــــــة : ماذا تخرف ياعبد العلي ؟

عبد العلـــي : وتكون له مسؤولية كبيرة وعين بصيرة، ويكون على كل شيء قديراً.. آمين يا رب العالمين..

صليحـــــــة : كل تلامذتي لهم اليوم مسؤوليات كبيرة..

عبد العلـــي : نعم.. نعم، ومع ذلك لم نر منهم إلا العقوق المبين.. تمنيت يا مولاة الدار لو يتكرم منهم واحد.. واحد فقط.. ويجد لولدنا سلطان وظيفة محترمة .. هل تراني أطلب المستحيل يا صليحة؟

صليحـــــــة : أبداً.. أبداً ياعبد العلي ..

عبد العلـــي : يا الله.. إن أغرب ما في هذه المعلمة البئيسة هو أنها لا تعلم شيئاً.. لا تعلم في الحلوى ولا في غير الحلوى، ومع ذلك فإنها تدعي العلم والمعرفة وهي أجهل من عمنا الجيلالي..

صليحـــــــة : الجيلالي؟ ومن يكون هذا الجيلالي؟

عبد العلـــي : ألم أقل لكم إنها لا تعرف شيئاً ؟ ليكن في كريم علمك أن الجيلالي يحتاج إلى حديث آخر..

صليحـــــــة : حديث آخر؟

عبد العلـــي : نعم، وأن هذا الحديث الآخر يحتاج إلى مسرحية أخرى..

صليحـــــــة : لا.. تكفينا هذه المسرحية ياعبد العلي ..

عبد العلـــي : يا أيها الناس.. (للجمهور) تصوروا أنني كلما جئت البيت وطرقت الباب (يسمع طرق على الباب) سمعت مولاة الدار تقول..

صليحـــــــة : من يطرق الباب؟

عبد العلـــي : هل رأيتم؟ هي لا تعرف من يطرق الباب، وهو على بعد خطوتين، ومع ذلك تدعي معرفة المسائل الكبرى في الحياة..
(يطرق الباب من جديد)

صليحـــــــة : ياعبد العلي يكفيك ثرثرة، ألا تسمع.. إن باب بيتنا يطرق..

عبد العلـــي : الباب يطرق، وأنا أعرف من يطرقه..

صليحـــــــة : تعرف؟

عبد العلـــي : نعم، هو صاحب البيت بلا شك، وقد جاء يطلب المال، ومن أين آتيه بالمال وأنا ضعيف الحال؟

صليحـــــــة : اخرج إلى الرجل ياعبد العلي ..

عبد العلـــي : اخرجي إليه أنت..

صليحـــــــة : اطلب منه أن يمهلنا قليلاً.. شهراً أو أقل.. كلمه بكل احترام ياعبد العلي .. قلت بكل احترام، هل سمعت؟

عبد العلـــي : نعم سمعت.. سأكلمه باحترام يليق بأولاد الحرام..

(يخرج وهو يضحك)

5 - النظر إلى الشهادة المعلقة..

سلطـــــــان : (وهو يطل من وراء ستار) أمي.. يا أمي.. هل اختفى بعلك المحترم؟

صليحـــــــة : نعم، اختفى مؤقتاً.. لقد ذهب ليفتح الباب ثم يعود.. ثم من بعد سيمر إلى المطبخ، وهناك سيبقى إلى ما شاء الله..

سلطـــــــان : إنني لا أريد أن ألتقي بذلك الرجل المتعب..

صليحـــــــة : لا تريد.. ولماذا؟

سلطـــــــان : لأنه سيسألني من جديد، ماذا فعلت وماذا لم تفعل، وهل صنعت هذه وتركت تلك.. سيذكرني - سامحه الله - بفشلي وخيبتي وبقلة حظي.. إن أسوأ ما أكره في هذا الرجل هي دروسه العتيقة جداً.. دروسه التي ليس لها طعم ولا معنى.. تصوري يا أمي أنه دائماً يذكرني بأسماء الناجحين من العائلة.. يذكرني بعبد الغني وبعبد العظيم وبعبد القوي وبعبد الجبار وبعبد القهار، فهذا أصبح محامياً، وذاك أصبح مهندساً، والآخر أصبح رجل أعمال مثل أبيه، وغيرهم كثير أصبحوا.. لست أدري ماذا أصبحوا..

صليحـــــــة : إنه أبوك يا سلطان، وهو يحبك..

سلطـــــــان : نعم، هو أبي، وأنا لم أقل العكس..

صليحـــــــة : وهو يخشى على مستقبلك..

سلطـــــــان : أنا أيضاً يقلقني هذا الوضع يا أمي، ولكن.. ماذا أفعل؟ إن أقصى ما أستطيع هو أن ألعن جد هذه الظروف..

صليحـــــــة : يا سلطان يا ولدي، نحن لا نطالبك إلا بما هو ممكن..

سلطـــــــان : أعرف.. وما هو ممكن أديته كله.. أديته وزيادة.. لقد تكرمتما - أنت والسيد بعلك - فولدتماني، وإنني لا أملك سوى أن أقول لكما شكراً.. أقولها صادقاً يشهد الله، مع أن متاعب هذه الدنيا اللعينة لا تستحق شكراً، وقلتما لي - أنت والسيد بعلك دائماً - انمُ واكبر، فنموت وكبرت بسرعة قياسية.. نموت حتى صرت - بعون الله - (وهو يتأمل نفسه) ماذا صرت يا أمي؟

صليحـــــــة : صرت بغلاً كما يقول أبوك.. (تضحك)

سلطـــــــان : مرة أخرى شكراً.. شكراً لك ولأبي.. أقولها صادقاً، وإن مثل هذا الكلام لا يحتاج شكراً..

صليحـــــــة : ما ألطفك من بغل جميل يا ولدي.. (تضحك) حقاً.. كل بغل في عين أمك غزال.. (تضحك)

سلطـــــــان : وقلتما لي اقرأ وتعلم، فالعلم نور والجهل عار، وقلتما لي أشياء أخرى غريبة وعجيبة.. أشياء نسيتها كلها، وهذا من فضل ربي، وتعلمت في المدارس يا أمي.. تعلمت وأخذت الشهادة بعد الشهادة.. الشهادة الصغيرة والكبيرة والمتوسطة، وقلتما لي.. ماذا قلتما لي يا أمي؟

صليحـــــــة : علقها على جدران البيت يا سلطان..

سلطـــــــان : وفعلاً علقتها، وإلى اليوم مازالت معلقة.. وتأملت حسنها وجمالها، ومنذ أن علقتها يا أمي توقف التاريخ في هذا البيت، وأصبح كل شيء في حياتي معلقاً..

صليحـــــــة : إنك تبالغ كثيراً يا ولدي سلطان..

سلطـــــــان : أبداً يا أمي.. لقد أصبحت الوظيفة معلقة، وأصبح الرزق معلقاً، وأصبح هذا العمر الثقيل معلقاً في الفراغ..

صليحـــــــة : يا ولدي سلطان، ألف مرة قلت لك، لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس..

سلطـــــــان : ما هذا؟ كلام المدارس مرة أخرى؟يا أمي .. لماذا أدخلتني المدرسة؟ لماذا؟

صليحـــــــة : ماذا يقول هذا الولد المجنون؟

سلطـــــــان : لو علمتني صنعة لكنت الآن رجلاً محترماً..

صليحـــــــة : يخيل إليك فقط، إنه لا أحد يحترم الجهل والجهلاء يا ولدي..

سلطـــــــان : حتى هذا كلام مدارس يا أمي.. إن الجهل مع المال ليس جهلاً..

صليحـــــــة : خطأ..

سلطـــــــان : والعلم مع الفقر ليس علماً..

صليحـــــــة : اسمع يا ولدي سلطان سأقول لك كلمتين..

سلطـــــــان : يا أمي.. بالله لا تقولي شيئاً آخر، لقد قلت ما يكفي.. قلت

أنت وسمعت أنا، ولقد جاء الوقت لتسمعيني.. اسمعي .. لو أنك علمتني البيع والشراء لكنت الآن تاجراً شاطراً..

صليحـــــــة : احمد ربك أنك لست اليوم تاجراً..

سلطـــــــان : ولو علمتني الكذب لكنت الآن سمساراً ناجحاً.

صليحـــــــة : ولدي أنا سمسار؟ يا للعار.. يظهر أنك لا تعرف من تكون أمك..

سلطـــــــان : كيف لا أعرف.. كيف.. أنت أم الرجال ومربية الأجيال.. ألا تعرفين يا أمي بأنك أنت المسؤولة..

صليحـــــــة : أنا المسؤولة؟ المسؤولة عن ماذا يا سلطان؟

سلطـــــــان : مسؤولة عن تفريخ أفواج كبيرة من الفاشلين ومن العاطلين ومن الحالمين ومن الغالطين ومن المثاليين ومن الهامشيين ومن الحمقى والمجانين..

صليحـــــــة : (تضحك) أنا؟ سامحك الله يا ولدي..

سلطـــــــان : علمت مبدأ الأخلاق في عصر بلا أخلاق، وبشرت بالحب والأخوة في زمن الكراهية، ودرست العلم الحق ولكن متى؟ في عصر غريب عجيب .. عصر الأمية فيه سيد ومولى والجهل سلطان..

صليحـــــــة : ليكن هذا العالم كما شاء، فأنا لن أكون إلا أنا، ولن أبيع مبادئي، ولو بكل ذهب الدنيا.. ستبقى أمك كما كانت دائماً، امرأة مؤمنة بالحق والخير وبالعلم والعمل وبالكد والرزق الحلال..

سلطـــــــان : أنا لو كنت مكانك يا أمي لعلمت التلاميذ ما ينفعهم..

صليحـــــــة : أنت تعلم يا سلطان؟ وماذا تعلمهم؟

سلطـــــــان : أعلمهم فنون العصر يا أمي.. متى تدركين أيتها المرأة الطيبة أن أخطر الفنون كلها هو فن الغش؟

صليحـــــــة : أعوذ بالله..

سلطـــــــان : وفن النصب والاحتيال والتلون مع الأحوال..

صليحـــــــة : كلامك هذا يخيفني يا سلطان..

سلطـــــــان : من حقك أن تخافي يا أمي، لأن الجهل فعلاً مخيف..

صليحـــــــة : الجهل؟

سلطـــــــان : نعم، أنت يا أمي تجهلين علوم هذه الساعة، وهي علوم جديدة لا تدرس في المدارس ولا في الجامعات، وإنما تدرس في الأزقة والحارات..

صليحــــــة : أعوذ بالله من الأزقة والحارات..

سلطـــــــان : اليوم ينبغي على الناس أن يتعلموا بشكل مختلف.. نعم، عليهم أن يتعلموا كيف يتسلقون، وكيف يصلون، وكيف يربحون ولا يتعبون، وكيف يهتدون إلى أقرب الطرق وأسهل الطرق وأنجح الطرق..

صليحــــــة : يا إلهي.. أنت لست ولدي الذي أعرف..

سلطـــــــان : صحيح.. أنا لست ولدك يا أمي..

صليحــــــة : ما هذا الذي تقول يا سلطان؟

سلطـــــــان : أنا ولد هذا الزمن الرديء يا أمي.. كلنا أولاده وبناته، سواء رضينا بذلك أم لم نرض. وكل من لا يشبه زمنه هذا، فإنه لابد أن يتبرأ منه، وأن يرميه بعيداً جداً.. هل فهمت؟

عبد العلـــي : (يأتي صوته من الخارج) صليحة .. يا صليحة.. مع من تتكلمين؟

سلطـــــــان : (بهمس) ليس معي، فأنا لست هنا.. لقد خرجت..

(يخرج من جهة ليدخل عبد العلي من الجهة الأخرى)

6 - رحم اللّه أيام زمان..

(يدخل عبد العلي وهو يمسك بآنية من أواني المطبخ)

عبد العلـــي : لم تخبريني، مع من كنت تتكلمين يا صليحة؟

صليحـــــــة : إنني..

عبد العلـــي : إياك أن تقولي مع هذا الصندوق.. (مشيراً إلى الراديو) لأنني لن أصدقك..

صليحـــــــة : لا .. هذه المرة كنت أكلم ولدك سلطان..

عبد العلـــي : آه .. من؟ ذلك الغول سيقتلني يوماً يا صليحة .. سيقتلني وأنت المسؤولة..

صليحـــــــة : أنا؟ ولماذا أنا؟

عبد العلـــي : نعم أنت ولا أحد سواك.. يا عباد اللّه، أنا لم يعد لي أي اعتبار في هذه الدار.. رحم اللّه أيام زمان..

صليحـــــــة : هل تعرف حليمة ياعبد العلي ؟

عبد العلـــي : حليمة؟ ماذا بها؟

صليحـــــــة : يظهر أنها قد عادت إلى عادتها القديمة، عادت إلى البكاء والشكوى..

عبد العلـــي : لقد كان الناس.. كل الناس، يحسبون لي مليون حساب .. كان الكل .. رجالاً ونساء، كباراً وصغاراً..

صليحـــــــة : ماذا تقول ياعبد العلي ؟ (تضحك) مليون حساب.. لك أنت؟

عبد العلـــي : نعم، لي أنا..

صليحـــــــة : ذلك هو المحال المحال يا سيدي مولى الدار..

عبد العلـــي : يظهر أنك لا تعرفين من أكون..

صليحـــــــة : المصيبة أنني أعرفك جيداً ياعبد العلي .. وأعرف من تكون.. (تضحك)

عبد العلـــي : لا .. واللّه أنت لا تعرفين شيئاً..

صليحـــــــة : (تضحك) تتحدث عن مليون حساب، مع أنه لا شيء لك في البنك، لا حساب ولا نصف حساب، ولا حتى رائحة الحساب..

عبد العلـــي : ماذا تخرف هذه المرة؟ إنني أتحدث عن الحساب المعنوي، ألا تفهمين؟

صليحـــــــة : آه.. الحساب المعنوي.. نسيت يا مولانا.. نسيت أن كل ثروتك هي ثروة معنوية .. (تضحك)

عبد العلـــي : مرة أخرى أقول، رحم الله أيام زمان، لقد عشت حياة لا عيب فيها، عشت فرحاً مطمئناً حتى جاء ذلك اليوم المشؤوم..

صليحـــــــة : أي يوم ياعبد العلي ؟

عبد العلـــي : أي يوم.. تسألني وهي عليمة.. ماذا أقول لك يا مولاة الدار وكل الهم منك أنت؟

صليحـــــــة : مني أنا؟

عبد العلـــي : إنه يوم النحس الأكبر والأصغر يا صليحة..

صليحـــــــة : أعوذ بالله .. إنك تخيفني أيها الرجل..

عبد العلـــي : ألا تذكرين يا صليحة بأنني في شبابي الجميل قد تعرضت لحادث غريب؟

صليحـــــــة : أنت تعرضت لحادث؟ هذا شيء لا أعرفه..

عبد العلـــي : حادث قاتل يا صليحة..

صليحـــــــة : ولكنك لم تمت ياعبد العلي ..

عبد العلـــي : وذلك حادث آخر يا مولاة الدار.. حادث له حديث آخر..

صليحـــــــة : هذا الرجل يحدثني بالألغاز..

عبد العلـــي : ها.ها.. هل سمعتم؟ قالت الألغاز وهي تعرف كل شيء.. آه من ذلك اليوم يا مولاة الدار، لقد فقدت أعز الأشياء وأغلاها..

صليحـــــــة : ماذا فقدت ياعبد العلي ؟

عبد العلـــي : فقدت عزوبيتي.. فقدتها وأضعتها وأصبحت معوقاً كما ترين.. انظري إلى حالتي وتعاستي..

صليحـــــــة : أخزاك الله.. (تضحك)

عبد العلـــي : لقد أصابتني العين، ولحق بي كيد الكائدين، وأصبحت واحداً من ملايين المعوقين..

صليحـــــــة : (تضحك) احمد ربك أنك تزوجتني ياعبد العلي ..

عبد العلـــي : الحمد لله.. الحمد لله الذي لا.. إلى آخره.. أكملي أنت يا صليحة..

صليحـــــــة : لولا هذه المـــــــرأة : ياعبد العلي ..

عبد العلـــي : إنها تقصد نفسها..

صليحــــــة : ما كنت لتصبح اليوم رجلاً متعلماً ومتمدناً..

عبد العلــي : آه.. هذه شهادة أعتز بها.. شهادة بأنني رجل متعلم ومتمدن..

صليحــــــة : صحيح أنت الآن متمدن، بعد أن كنت ما كنت..

عبد العلــي : ماذا كنت؟

صليحــــــة : كنت بغلاً حاشا السامعين..

عبد العلــي : هذا كلام هراء وزعم باطل.. قديماً يا مولاة الدار كنت أتصور أشياء غريبة وعجيبة جداً..

صليحــــــة : آه.. قال كنت ..أنت ياعبد العلي كنت ولا تزال.. مازلت تتصور الأشياء الغريبة والعجيبة..

عبد العلــي : ظننت أن كل أمراضي يمكن أن يشفيها الزواج وتزوجت.. أو تزوجنا، وإذا بالمصائب كلها تأتي من هذا الزواج، وأول هذه المصائب يا صليحة هو ولدك سلطان العاطلين..

صليحــــــة : من قبل ياعبد العلي لم يكن هذا رأيك..

عبد العلــي : وتلك هي المصيبة العظمى يا مولاتي..

صليحــــــة : (للجمهور) هذه واحدة من أعراض الشيخوخة..

عبد العلــي : الآن فقط عرفت يا صليحة أن المرأة تتزوج لتدخل الدنيا، وأن الرجل يتزوج ليخرج منها..

صليحــــــة : اليوم نسيت كل شيء ياعبد العلي ..

عبد العلــي : أبداً.. وحق الله ما نسيت شيئاً..

صليحــــــة : نسيت يوم جئتني خاطباً راغباً، وبراءة الأطفال في عينيك..

عبد العلــي : أنا؟

صليحــــــة : نعم أنت.. جئت شاكياً باكياً والدمع في عينيك كأنه الأنهار الجارية..

عبد العلــي : (للجمهور) لا تصدقوها..

صليحــــــة : كان ذلك من زمن طويل ياعبد العلي .. الآن يظهر وكأنه الأمس أو أمس الأمس.. ما رأيك أيها العبد العلــي : لو نستعيد صور ذلك اليوم؟

عبد العلــي : ذلك اليوم.. أي يوم يا صليحة؟

صليحــــــة : يوم الخطبة.. (فجأة تختفي كل الأضواء ويعم الظلام)

7 - يوم قرأنا الفاتحة..

(تظهر بقعة ضوء في الخلف، نرى بداخلها رجلا عجوزاً وحده وهو ينتظر، بعد ثوان يدخل رجل آخر هو عبد العلي في شبابه)

عبد العلي 2 : صباح الخير يا عمي صالح..

والد صليحة : صباح الخير يا ولدي..

عبد العلي 2 : .. عبد العلي .. هذا هو اسمي، وإنني ـ كما ترى ـ شاب وسيم وعلى خلق عظيم..

والد صليحة : تبارك الله .. تبارك الله..

عبد العلي 2 : ومن مشاريعي يا عمي أن أصبح يوماً عجوزاً مثلك..

والد صليحة : سيحصل ذلك إن شاء الله يا ولدي..

عبد العلي 2 : وأن يكون لي ولد يشبهني أو يشبهك وأسميه سلطان..

والد صليحة : كل شيء قريب عند رب العالمين..

عبد العلي 2 : يا عمي صالح. لو جاء بيتك شاب لطيف وظريف مثلي، وطلب ضيف الله، ماذا تقول له؟

والد صليحة : ماذا أقول؟ أقول له أهلاً وسهلاً ومرحباً..

عبد العلي 2 : أكرمك الله يا عمي..

والد صليحة : تفضل يا ولدي، اجلس حيث شئت، البيت بيتك، وإن كنت أنا الذي اشتريته، ودفعت فيه دم عروقي..

عبد العلي 2 : (يجلس) إنه بيت جميل يا عمي، وهو يستحق ثمنه..

والد صليحة : لقد طلبت مقابلتي يا ولدي، ترى ماذا وراءك؟

عبد العلي 2 : (ينظر خلفه) ماذا ورائي؟ ليس ورائي شيء يا عمي..

والد صليحة : إنني أسألك عن موضوع الزيارة يا ولدي.. هل فهمت الآن؟

عبد العلي 2 : آه . الموضوع .. إنه بكل بساطة يا عمي موضوع اجتماعي وإنساني، ولقد جئتك طالباً القرب منك يا عمي..(بحياء مفتعل)

والد صليحة : القرب مني؟ إن كان يهمك القرب مني فاقترب.. اقترب يا ولدي كما تشاء..

عبد العلي 2 : يا عمي.. لقد فهمتني خطأ.. إني أريد أن أقول..

والد صليحـة : ماذا تريد أن تقول؟

عبد العلـي 2 : إنني يا عمي ـ وبكل بساطة ـ أرغب في الزواج من ابنتكم المصونة للا صليحة أصلحها الله، ورجائي يا عمي ألا تردني خائباً، فأنا يتيم، والله أوصى باليتيم خيراً، فما قولك؟

والد صليحـة : ما قولي؟ شخصياً يا ولدي، إن توفرت فيك الشروط، فليس لدي أي مانع..

عبد العلـي 2 : (لنفسه) هذه بداية مشجعة..

والد صليحـة : فقط يا ولدي، لو تتفضل بالجواب عن بعض الأسئلة.. الأسئلة التقليدية والبليدة قليلاً.. (يضحك) هكذا جرت العادة يا ولدي، خصوصاً في الأسر الكبيرة والعريقة والمحافظة مثل أسرتنا..

عبد العلـي 2 : اسأل كما تشاء يا عمي، فقد راجعت دروسي جيداً..

والد صليحـة : وأول الأسئلة يا ولدي، وأخطرها بلا شك، هو المتعلق بالشغل دائماً.. ماذا تشتغل ياعبد العلـي ؟

عبد العلـي 2 : أنا؟ أنا مدير يا عمي ..

والد صليحـة : ما شاء الله.. ما شاء الله.. مدير في أية مؤسسة يا ولدي؟

عبد العلـي 2 : أنا؟ أنا مدير في مؤسسة محترمة .. مؤسسة كبيرة وخطيرة، أعمالها يا عمي تغطي كل الدنيا الفانية.. تغطيها كلها، وتصل إلى حدود .. الآخرة..

والد صليحـة : تبارك الله .. تبارك الله.. اللهم زده خيراً..

عبد العلـي 2 : أنا مسؤول يا عمي.. مسؤول كبير في مستشفى كبير..

والد صليحـة : آه.. عرفت.. أنت طبيب بلا شك.. أو رئيس الأطباء، أليس كذلك؟

عبد العلـي 2 : طبيب؟ ماذا أقول لك يا عمي.. يمكنك أن تقول عني إنني .. تقريباً طبيب..

والد صليحـة : تقريباً ؟

عبد العلـي 2 : إنني المسؤول الكبير عن الثلاجة الكبرى..

والد صليحـة : آه الثلاجة .. عرفت.. ثلاجة التموين..

عبد العلـي 2 : لا يا عمي..

والد صليحـة : ثلاجة الأدوية إذاً؟

عبد العلـي 2 : أبداً.. بل ثلاجة الموتى يا عمي..

والد صليحـة : ثلاجة ماذا؟

عبد العلـي 2 : ثلاجة الموتى حاشاك.. (باحتشام مفتعل)

والد صليحـة : أعوذ بالله، ما هذا الذي أسمع؟

عبد العلـي 2 : كلنا لها يا عم، هم السابقون، وأنتم اللاحقون، ونحن بعدكم..

والد صليحـة : وأنت، مع هذه الثلاجة، ما هو شغلك بالضبط؟ أريد أن أعرف..

عبد العلـي 2 : (لنفسه) من الأحسن ألا يعرف..

والد صليحـة : ماذا قلت؟

عبد العلـي 2 : قلت يا عمي، بأن مهمتي هي أن أتلقى البضاعة..

والد صليحـة : البضاعة؟ أية بضاعة؟

عبد العلـي 2 : الجثث.. جثث الموتى يا عمي.. إنني أستلمها، بعد أن أوقع على محضر التسليم طبعاً، ثم إنني لا أسلمها لأصحابها إلا بعد أن يوقعوا.. تلك هي أصول الشغل النظيف.. إنني أتسلمها طرية، وأسلمها أكثر طراوة..

والد صليحـة : يا رب العالمين.. ماذا أقول لهذا الضبع؟

عبد العلـي 2 : ماذا تقول؟ لا تقل شيئاً يا عمي.. يكفي أن تضع يدك في يدي وأن نقرأ الفاتحة..

والد صليحـة : الفاتحة.. على روح من؟

عبد العلـي 2 : (يقرأ من غير أن يلتفت للشيخ) بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين..

والد صليحـة : يا ولدي.. في الأمر سوء تفاهم كبير..

عبد العلـي 2 : الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين..

والد صليحـة : (بصوت مرتفع) ليس لدينا موتى في هذا البيت يا ولدي.. ألا تسمع؟

عبد العلـي 2 : ما هذا؟ إنني أقرأ وحدي، وهذا لا يصح يا عمي..

والد صليحـة : اقرأ وحدك يا وكيل عزرائيل.. يا عباد الله، من أين أتتني هذه البلية؟ من أين؟

عبد العلـي 2 : أنت أبو العروسة يا عمي، وينبغي أن تقرأ معي.. (يقرأ) اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .. آمين..

والد صليحـة : (يمسكه من يده ويدفع به نحو الباب) الباب من هنا يا ولدي.. عد إلى بيت أمك واقرأ معها ما تشاء..

عبد العلـي 2 : ولكن يا عمي..

والد صليحـة : أنا لست عمك، ولست عم أحد..

عبد العلـي 2 : لقد فهمتني خطأ، ولك علي أن أفهمك جيداً.. انتظر..

والد صليحـة : ابتعد عني.. اخرج من بيتي، وإلا طلبت لك سيارة الإطفاء.. الباب من هنا..

(يمسك بعصا ويجري خلف.. ظلام تام .. إضاءة كاملة، ونجد أنفسنا أمام صليحة وعبد العلي وهما يضحكان)

عبد العلـــي : لقد طردني المرحوم شر طردة يا صليحة..

صليحـــــــة : تستأهل يا .. راعي الثلاجة..

عبد العلـــي : ولكنني لم أستسلم، ولقد بقيت وراءك حتى طيرت كل الخطاب.. طار الجميع ولم يبق إلا أنا..

صليحـــــــة : وتزوجنا يا عبد العلي..

عبد العلـــي : نعم، وكان الذي كان.. (يحاول أن يضمها إلى صدره)

صليحـــــــة : ابتعد.. سيرانا الولد..

عبد العلـــي : ليته يرانا يا صليحة ..يرى دلال السيدة أمه وغنجها..

صليحـــــــة : ياويلي.. ما هذا الذي تقول؟ (اعقل) يا عبد العلي .. (اعقل)..

عبد العلـــي : قبح الله العقل..بماذا أفادنا هذا العقل يا مولاة الدار؟ من مصلحتك أن أكون مجنوناً بحبك.. (تضحك في دلال)

صليحـــــــة : ماذا تخرف يا إبليس؟

عبد العلـــي : أنا مجنون قلت لك.. مجنون صليحة..

(ينخرطان في ضحكة طويلة جداً.. يدخل سلطان من غير أن يشعرا به.. يبقى واقفاً في مكانه يتفرج)

8 - كل ملف ذائق الموت ..

سلطـــــــان : الله الله .. ما هذا الذي أرى؟ الوالد والوالدة في قمة الانسجام.. إنني أستسمحكما أيها السعيدان، فقد أفسدت عليكما نشوة الفرح بلا شك.. (يهم بالانصراف)

عبد العلـــي : انتظر.. إن هذا الضحك يا ولدي لا علاقة له بالفرح..

سلطـــــــان : آها ه..

عبد العلـــي : إنه الضحك المر على غرابة الأشياء، وعلى بؤس الدنيا، وعلى غباء بعض الأغبياء..

سلطـــــــان : لم أفهم يا أبي..

عبد العلـــي : لم يفهم؟ هل سمعت يا صليحة.. ومتى كنت تفهم شيئاً يا رأس الغول.. متى؟

سلطـــــــان : يا رب العالمين، يظهر أن نوبة الفرح قد انتهت.. (لنفسه) ليت أني ما حضرت..

عبد العلـــي : أنت ماذا ينقصك لتكون ناجحاً، مثل كل الناجحين؟ تكلم.. ماذا ينقصك يا رأس الغول..

سلطـــــــان : إنني يا أبي..

عبد العلـــي : مرة أخرى لا يقول شيئاً.. إنه لا يعرف إلا هذه الجملة المبتورة، إنني يا أبي.. يقولها ثم يسكت..

سلطـــــــان : يا ويلي.. لقد بدأ نشيد الإنشاد من جديد..

عبد العلـــي : تعال اقترب.. لا تخف، فأنا لن أضربك. ومن يضرب بغلاً طويلاً عريضاً مثلك؟ من؟

صليحـــــــة : ياعبد العلي (بهمس) إن الولد لم يعد ولداً..

عبد العلـــي : أظن أنني كلفتك بشيء، أليس كذلك؟

سلطـــــــان : وما كلفتني به قضيته يا أبي..

عبد العلـــي : سبحان الله.. وبهذه السرعة؟

سلطـــــــان : نعم، بهذه السرعة..

عبد العلـــي : عجباً..

صليحـــــــة : لقد طلب منك أبوك أن تكتب له طلباً..

سلطـــــــان : وكتبت الطلب يا أمي، ووضعته لدى السلطات.. لقد بينت فيه

أنك تنوي فتح محل للمرطبات والمثلجات..

عبد العلـــي : ولكن.. لماذا لم يأتني الرد بعد؟ لماذا؟ أجب يا رأس الغول.. هل أصاب ملفي مكروه؟

سلطـــــــان : ماذا أقول لك يا أبي؟ لو كان الأمر بيدي لأجبتك في رمشة عين.. ولكن..

عبد العلـــي : صليحة.. يعلم الله ماذا أصاب ذلك الملف التعس..

سلطـــــــان : لا شك أنه .. أنه .. هل أقول يا أبي؟

عبد العلـــي : نعم قل.. قل بسرعة..

سلطـــــــان : ولا أخشى شيئاً يا أبي؟

عبد العلـــي : لقد منحتك الأمان، فهات ما لديك..

سلطـــــــان : إني أخشى يا أبي.. وقد أكون خاطئاً طبعاً..

عبد العلـــي : وأنت دائماً خاطئ طبعاً..

سلطـــــــان : إنني أخشى على ملفك أن يكون.. أن يكون..

عبد العلـــي : أن يكون ماذا؟

سلطـــــــان : قد أدخلوه الثلاجة الأخرى يا أبي.. ثلاجة الموت التي تعرف..

عبد العلـــي : ما هذا الذي أسمع؟ أيكون ملفي حقاً قد..

سلطـــــــان : المؤكد أنه قد.. (بحزن مفتعل) لا إله إلا الله.. كل ملف ذائق الموت يا أبي..

عبد العلـــي : هل سمعت يا صليحة؟ الملف الذي عولنا عليه مات..

سلطـــــــان : مات أو قتل، والأرجح أن نقول إنه انتحر.. انتحر حتى لا يصبح أبونا بائع حلوى مسمومة .. (يهمس بالجملة الأخيرة في أذن أمه)

عبد العلـــي : ما أتعس حظك ياعبد العلي ..

سلطـــــــان : لا تبتئس يا أبي، ولا تحزن، ولا تهتم ولا تغتم، واعلم أن ولدك بجانبك.. (مشيراً إلى نفسه)

عبد العلـــي : أنت؟ ومن أنت؟

سلطـــــــان : أنا ولدك سلطان.. من كنت بجانبه كان الله معه..

عبد العلـــي : عجباً.. لقد أصبح الولد يتكلم يا صليحة.. ألا تسمعين؟

سلطـــــــان : وهذا ما كنت تطلبه دائماً ياعبد العلي .. أن يتكلم..

عبد العلـــي : وليته ما تكلم.. سكت دهراً ونطق كفراً..

سلطـــــــان : لقد أراد الله بك خيراً يا أبي .. أعطاك ولداً نبيهاً ومؤدباً وعالماً..

عبد العلـــي : ها.. أنت عالم؟

سلطـــــــان : نعم، وقد وضعت علمي في خدمتك.. يجب أن تعرف يا أبي بأنني دائماً معك..

عبد العلـــي : أنت دائماً، ودائماً معنا، وتلك هي المصيبة..

سلطـــــــان : إنني مستعد لأن أساعدك على حمل بعض متاعب الدنيا.. كل صعب يهون بالتعاون، هكذا قات السيدة أمي، وقالت أيضاً، إن اليد الواحدة لا تصفق..

عبد العلـــي : ومن قال لك يا رأس الغول إنني أريد أن أصفق؟ من؟

سلطـــــــان : وماذا تريد يا أبي؟

عبد العلـــي : أريد أن أصفعك على قفاك، هل فهمت؟ وفي هذا تكفيني يد واحدة..

سلطـــــــان : هل رأيت الظلم يا أمي؟ إنه يريد أن يضربني. مع أنني لم أفعل شيئاً..

عبد العلـــي : لم يفعل شيئاً.. هل سمعت؟ يقولها ولا يخجل.. ألا تعرف بأن هذا هو المشكل.. أنك لا تفعل شيئاً أيها البغل.. اشتغل..

سلطـــــــان : وأين الشغل يا أبي؟ دلني عليه وأنا أطير إليه.. (يسمع طرق شديد على الباب)

صليحـــــــة : من عساه يكون الطارق ياعبد العلي ؟

عبد العلـــي : لست أدري.. ربما هو صاحب البيت..

صليحـــــــة : أعوذ بالله..

سلطـــــــان : لا تخش شيئاً يا أبي، إنه فقط صديقي.. صديقي عبد الغني، لقد طلبت منه أن يأتيني ببعض العناوين.. عناوين الشركات والإدارات.. هل رأيت يا أبي.. إنني جاد في البحث عن وظيفة.. سأخرج إليه ثم أعود بسرعة .. (يخرج)

عبد العلـــي : كل المتاعب والمصاعب أنت سببها.. أنت يا صليحة..

صليحـــــــة : أنا؟

عبد العلـــي : أنت أو هو.. لست أدري..

صليحـــــــة : هو؟ هو من؟

عبد العلـــي : الزواج يا مولاة الدار.. الزواج اللعين.. أخبريني يا صليحة، لماذا تزوجنا؟ لماذا؟

صليحـــــــة : ماذا تقول ياعبد العلي ؟ هل أنت بخير؟

عبد العلـــي : ومن أين يأتيني الخير؟ إن الزواج هو الثلاجة الحقيقة.. ثلاجة المحبة والغرام.. حقاً إنها تحتفظ بالأجساد طرية، ولكن الروح يا صليحة.. أين هي الروح؟

صليحـــــــة : مرة أخرى الثلاجة..

عبد العلـــي : ما أجمل لو أن أرواحنا تظل حارة وملتهبة.. ملتهبة لحد الاحتراق.. (صمت) ما هذا؟ ألا تشمين ما أشم أنا؟

صليحـــــــة : وماذا تشم أنت؟

عبد العلـــي : أشياء تحترق يا صليحة..

صليحـــــــة : ها.. أنت لم يعد فيك شيء يحترق..

عبد العلـــي : أعرف.. ولكن الفرن..

صليحـــــــة : ماذا به الفرن؟

عبد العلـــي : لقد تركت فوقه طعام يومنا، ولا شك أنه قد ضاع.. اليوم يا أمة الإسلام لن نأكل شيئاً، والسبب هو هذه المرأة ..

صليحـــــــة : ولماذا أنا؟

عبد العلـــي : وهو ثرثرة هذه المرأة ..

(يخرج مهرولاً تشيعه ضحكات صليحة)

9 - ولد الأمس أصبح وزيراً..

(تعود صليحة إلى الكرسي الهزاز وهي تضحك، تشغل جهاز الراديو، ثم تأخذ في الاستماع إليه)

الراديـــــو : (فاصل موسيقي) أيها السادة المواطنون، أيتها السيدات المواطنات في كل مكان، أسعد الله أوقاتكم بكل خير، جاءنا اللحظة من رئاسة الدولة البلاغ التالي:

صليحـــــة : بلاغ؟ اللهم اسمعنا خيراً.. (تنادي) عبد العلي .. يا عبد العلي .. تعال اسمع ..

الراديـــــو : بسم الله الرحمن الرحيم، في إطار التغييرات الوزارية، وتمشياً مع مصلحة البلاد العليا، فقد تم تسمية الأستاذ رابح ولد رابح وزيراً..

صليحـــــة : رابح.. هذا الاسم ليس غريباً علي..

الراديـــــو : لقد تم تعيينه في هذا المنصب السامي نظراً لعلمه وخبرته وحنكته ومصداقيته، ونظراً أيضاً لغيرته ولوطنيته ولعلمه وأدبه ولسمعته الطيبة، سواء داخل الوطن أو خارجه..

صليحـــــة : عفواً سيدي المحترم.. بالله انتظر قليلاً..

الراديـــــو : ما تريدين يا سيدتي الفاضلة؟ ألديك سؤال؟

صليحـــــة : نعم، لدي سؤال يحرق كالجمر.. هل فعلاً قلت رابح ولد رابح أم إن سمعي المتعب قد خدعني؟

الراديـــــو : اطمئني سيدتي، سمعك بألف خير..

صليحـــــة : الحمد لله.. سمعي بألف خير، ولكن هذه الدنيا يا ولدي..

الراديـــــو : ماذا بها هذه الدنيا؟

صليحـــــة : شيء مؤكد أنها ليست بخير.. رابح أصبح وزيراً؟ يمكن أن أصدق كل غرائب الدنيا إلا هذا الخبر..

الراديـــــو : في الأمر سوء تفاهم بلا شك يا سيدتي..

صليحـــــة : أبداً.. أبداً يا ولدي.. إنه هو. نعم هو .. إنني أعرف ذلك النمس..

الراديـــــو : أنت تعرفينه؟ تعرفين وزيراً؟ ذلك هو المحال يا سيدتي..

صليحـــــــة : (كمن تتذكر) رابح الذي أعرف أنا ،أبوه كان حارساً في السجن المدني..

الراديـــــو : أما هذا الرابح الآخر، فأبوه كان مديراً عاماً لكل السجون الوطنية..

صليحـــــــة : إذن هو يا محترم..

الراديـــــو : ماذا تقولين يا سيدتي؟

صليحـــــــة : وحق الله هو، ولا يمكن أن يكون إلا هو..

الراديـــــو : وكيف عرفت يا سيدتي؟

صليحـــــــة : كيف عرفت.. إنه لا أحد يمكن أن يكون مزيفاً بهذا الشكل إلا ذلك النمس. المدير العام لكل السجون.. (تضحك) .. إنه هو قلت لك..

الراديـــــو : هو من يا سيدتي؟

صليحـــــــة : رابح.. رابح ولد الضاوية الدلالة.. كان دائماً ينظر إلى فوق، لا يرضى بأبيه ولا بأمه، وكان كل طموحه أن يخرج من جلده..

الراديـــــو : قلت لك في الأمر سوء تفاهم بلا شك..

صليحـــــــة : أبداً يا ولدي..

الراديـــــو : فهذا الرابح هو رابح آخر، وسبحان الذي يخلق من الرابحين أربعين..

صليحـــــــة : هل تعرف بأنه في الفصل الدراسي كان يقول للجميع إن والده هو الباشا حمو؟

الراديـــــو : لا يا سيدتي المحترمة لا.. إن كل الأنباء التي وصلتني قد جاءتني من مصادر موثوق بها، وهي كلها تجمع على أن السيد الوزير من أسرة عريقة ونبيلة..

صليحـــــــة : كذب.. وحق الله كذب..

الراديـــــو : ثم إن ترجمته الذاتية التي بين يدي تشهد له بالجد والاجتهاد، وبأنه كان دائماً تلميذاً نجيباً ومتفوقاً..

صليحـــــــة : أبداً.. إن الكائن الوحيد الذي كان متفوقاً عليه هو بغل عمي شعبان.. (تضحك) صدقني..

الراديـــــو : كما تقول ترجمته أيضاً، إنه حصل على شهادات عليا كبيرة وكثيرة وخطيرة وعلى..

صليحـــــــة : ومن أين تأتيه الشهادات العليا أو الدنيا يا ولدي؟ إن الشهادات الوحيدة التي كان يعرفها هي الشهادات الطبية.. (تضحك)

الراديـــــو : (يتابع القراءة) سيداتي سادتي.. وزيرنا الجديد رحل في بعثات علمية إلى باريس وفرانكفورت وبوسطن واسطنبول وبغداد ودمشق والقاهرة، وتتلمذ على يد أكبر الأساتذة في العالم..

صليحـــــــة : الله أكبر.. هذا شيء لم يقع أبداً، ولذلك فإنني - أنا المدرسة صليحة - أطالبك بأن تسحب كلامك هذا، قبل أن تصبح نكتة بين العباد..

الراديـــــو : ماذا تقولين سيدتي؟ هذا الكلام ليس كلامي، إنه بلاغ حكومي، ألا تفهمين؟

صليحـــــــة : يا ولدي المذيع، يجب أن تعرف - ويعرف كل الناس - إن ما أقوله أنا هو وحده الحقيقة..

الراديـــــو : يا سبحان الله.. ومن طلب منك أن تقولي الحقيقة؟

صليحـــــــة : الحق أنطقني..

الراديـــــو : إن كل ما هو مطلوب منا جميعاً، هو أن نسمع.. نسمع ونبلع، هل فهمت يا سيدتي؟

صليحـــــــة : غير ممكن.. هذا تواطؤ.. هذه مؤامرة على البلاد، وعلى مستقبل البلاد، مؤامرة بالصمت الجبان والمدمر.. (تنادي بأعلى صوتها) عبد العلي .. ياعبد العلي .. هل سمعت ما يقول هذا الرجل؟

عبد العلـــي : (نسمع صوته ولا نراه) أي رجل؟ ليس في البيت غيرنا يا صليحة..

صليحـــــــة : رجل الراديو.. لقد قال كلاماً خطيراً.. خطيراً جداً ياعبد العلي ..

عبد العلـــي : إنك فقط تتوهمين يا صليحة.. العني الشيطان، ورتلي ما تيسر من القرآن الكريم..

الراديـــــو : ينبغي أن تعرفي أن فضيلة الأستاذ رابح قد تولى - في إطار المشروعية طبعاً - ثلاث وزارات مهمة وخطيرة جداً..

صليحـــــــة : ثلاث وزارات؟ الله أكبر.. هل سمعت ياعبد العلي .. ولد الباشا حمو المزيف أصبح وزراء.. وزراء وليس وزيراً واحداً..

الراديـــــو : نعم، لقد أصبح وزيراً للتعليم..

صليحـــــــة : رحم الله التعليم..

الراديـــــو : ووزيراً للفلاحة..

صليحـــــــة : بلا تعليق..

الراديـــــو : ووزيراً لتربية المواشي..

صليحـــــــة : الله الله .. وفي هذا اعتداء على كرامة الماشية..

الراديـــــو : إن الأستاذ رابح ولد رابح هو رمز للمواطن الشريف والنزيه..

صليحـــــــة : رابح شريف؟ نورك الله يا ولدي، وعلمك ما لا تعلم..

الراديـــــو : إنه مثال حي للرجل المجاهد والمجتهد..

صليحـــــــة : كذب..

الراديـــــو : ثم إنه - بعد هذا وذاك - عالم علامة..

صليحـــــــة : نعم، هو عالم بلا شك.. عالم لا يعلم شيئاً..

الراديـــــو : إنه يفهم في كل شيء..

صليحـــــــة : مثل كل الوزراء.. هو يفهم في كل شيء يتعلق بالغش والتزوير وبالكذب والنفاق.. إنه ..

الراديـــــو : يا سيدتي.. إنك تقولين كلاماً خطيراً جداً..

صليحـــــــة : أعرف، ولكن أنت، هل تدرك معنى ما قلت؟

الراديـــــو : ماذا قلت أنا؟

صليحـــــــة : قلت كلاماً أخطر من كلامي .. قلت حكايات وخرافات وأساطير لا يصدقها العقل..

الراديـــــو : أنا فقط قرأت بلاغاً رسمياً، وقلت إن الأستاذ رابح أصبح وزيراً واحداً بمهام متعددة.. هل فهمت يا سيدتي؟

صليحـــــــة : وأنا فقط تعجبت، واستغربت، هل فهمت؟ وهذا من حقي كمواطنة في هذا الوطن.. تعجبت أن يكون تلميذي الكسول قد أصبح وزيراً..

الراديـــــو : يا سيدتي الموطنة اسمعيني.. هناك أشياء كثيرة لا تعرفينها أنت..

صليحـــــــة : وأنت أيضاً، أيها المواطن اسمعني، هناك أسرار كثيرة وكبيرة لا تعرفها أنت، ومن حقك أن تعرفها.. إنه لا يصح أن تشتغل بالإعلام وأنت لا تعلم شيئاً..

الراديـــــو : إنك ترددين كلام أعداء الوطن، وهذا شيء ليس في مصلحتك..

صليحـــــــة : أعرف.. هو كلام ليس في مصلحتي، ولكنه في مصلحة الوطن.. انتهى الكلام .. يمكنك أن تنصرف.. (تهم بإغلاق جهاز الراديو)

الراديـــــو : انتظري .. انتظري قليلاً أيتها المـــــــرأة : المشاغبة..

صليحـــــــة : ماذا تريد أيضاً ؟

الراديـــــو : انتظري حتى أضع لك النقاط على الحروف..

صليحـــــــة : ها ها وكيف ذلك يا مسكين، وأنت لا تملك نقاطاً ولا حروفاً.. يظهر يا ولدي أنك أجهل من وزيرك الأمي..

الراديـــــو : هذا كثير .. كثير جداً، ولابد أن تدفعي الثمن غالياً.. (تمتد يدها نحو الراديو) دعيني أكمل، فمازال في جعبتي الكثير من الكلام، ومازال في أوراقي الكثير من البلاغات والبيانات.. (لا تقدر أن تطفئ الراديو، وكأن هناك من يمسك بيدها..)

صليحـــــــة : (تنادي بأعلى صوتها)عبد العلي ..يا عبد العلي .. تعال بسرعة .. تعال قلت لك.. هذا الشبح سيكسر ذراعي .. (يدخل عبد العلي وهو يجري.. يتجه نحو الراديو ويطفئه)

صليحـــــــة : (بارتياح) الله.. لقد تبخر الملعون في الفراغ..

10 - وصل الذي لم يسرْ ولم يمشِ ..

عبد العلـــي : لماذا كنت تصرخين يا صليحة؟ وما الذي وقع؟

صليحـــــــة : ما الذي وقع؟ كل شر يا عبد العلي ، وكل جنون وحمق..

عبد العلـــي : أعوذ بالله، ماذا تقولين؟ هل أصاب البلاد والعباد مكروه؟

صليحـــــــة : ماذا أقول لك.. هل تعرف الولد رابح؟

عبد العلـــي : رابح.. أي رابح من الرابحين يا صليحة؟ لقد تكاثروا في الأيام الأخيرة.. أصبحوا عصبة وقبيلة.. أصبحوا كل شيء ونحن لا شيء..

صليحـــــــة : أقصد رابح ولد رابح.. ألا تذكره.. ذلك الذي كان تلميذاً في مدرستي والذي..

عبد العلـــي : آه.. عرفته.. ذلك الولد الغشاش..

صليحـــــــة : نعم هو، ولكنه اليوم لم يعد ولداً..

عبد العلـــي : شيء طبيعي، ماذا أصابه يا صليحة؟ هل أدخلوه السجن؟ هل أعدموه؟ لقد سمعتك تقولين عنه دائماً إنه وجه إجرام وسجون.. صليحـــــــة : ماذا أصابه؟ لاشيء، سوى أنه قد فتح الله عليه وأصبح رجلاً محترماً..

عبد العلـــي : سبحان الله.. لقد كان ذلك الولد دائماً كبيراً وعظيماً..

صليحـــــــة : (وكأنها تكلم نفسها) فعلاً.. كان عظيماً في تفاهته وحقارته..

عبد العلـــي : لم تخبريني يا صليحة، ماذا أصاب ذلك الولد؟

صليحـــــــة : أصبح وزيراً ياعبد العلي ..

عبد العلـــي : آه.. ماذا؟

صليحـــــــة : عفواً.. بل أصبح وزراء .. ثلاثة وزراء في واحد..

عبد العلـــي : غير ممكن.. إنك تمزحين بلا شك..

صليحـــــــة : أنا أيضاً مثلك، في البدء لم أصدق، ولكن الواقع هو هذا، إنه أكبر منك ومني، وأكبر منا جميعاً..

عبد العلـــي : في الأمر خطأ ما يا صليحة..

صليحـــــــة : بل في الأمر أخطاء كثيرة ياعبد العلي ..

عبد العلـــي : إن الأسماء تتشابه، وقد يكون الوزير رجلاً آخر..

صليحـــــــة : لا أظن. إنه هو .. هو قلت لك..

عبد العلـــي : يا سبحان الله.. أيكون هذا الذي أسمعه حقيقة؟

صليحـــــة : لا هو واقع فقط.. واقع وليس حقيقة.. هو زيف وتشويه واعتداء على روح الحقيقة..

عبد العلـــي : ماذا وقع لهذه الدنيا المجنونة؟ أخبريني يا صليحة؟ ماذا وقع لها؟ ولماذا وجوه الحبس تدخل الوزارة؟ ولماذا يبقى الشرفاء في الظل أوفي البيت أو في السجن أو في المنفى؟

صليحـــــة : إنه منطق الساعة ياعبد العلي .. هذه الساعة، وهو منطق غريب وعجيب كما ترى وتسمع..

عبد العلـــي : يا الله .. ما أغرب هذه الساعة.. المجتهدون يبدأون من نقطة الصفر، يبدأون صغاراً وينتهون صغاراً، أما الغشاشون فيبدأون من نقطة الوصول، يبدأون كباراً..

صليحـــــة : لا كبير إلا الحق..

عبد العلـــي : (كمن يكلم نفسه) الملعون .. لقد وصل رابح إذن؟

صليحـــــة : نعم وصل، مع أنه لم يسر ولم يمش.. لم يمش كما يمشي كل الناس على هذه لأرض..

عبد العلـــي : لقد طار يا صليحة، وحلق مع الطيور المحلقة في السماء..

صليحـــــة : لقد قرأت ياعبد العلي ، أن أغرب ما يميز هؤلاء الوصوليين هو أنهم عندما يصلون لا يذهبون..

عبد العلـــي : ولماذا يذهبون يا مولاة الدار؟ لماذا؟

صليحـــــة : حقاً.. لماذا يذهبون..

عبد العلـــي : ثم أيضاً، أين يذهبون؟ أين يا صليحة وهم لا يعرفون شيئاً، ولا يتقنون شيئاً؟الآن فقط أدركت أن المهام الكبيرة والخطيرة هي الأسهل دائماً.. إنه لا شيء أسهل من أن يكون الإنسان وزيراً، أليس كذلك يا مولاة الدار؟

صليحـــــة : لست أدري ياعبد العلي .. لست أدري..

عبد العلـــي : لقد حدثتني كثيراً عن ذلك الولد..

صليحـــــة : أي ولد؟

عبد العلـــي : ذلك الذي لم يعد اليوم ولداً..

صليحـــــة : (كمن يتذكر) في الفصل ياعبد العلي لم يكن يرفع أصبعه أبداً.

عبد العلـــي : نعم، وإذا حدث ـ سبحان الله ورفعه يوماً يا صليحة؟
صليحـــــــة : آه.. إذا حدث ذلك، فلكي ينبهني أن جرس الخروج قد دق..
(يضحكان)
عبد العلـــي : كان حريصاً على حقوقه يا صليحة..
صليحـــــــة : ولم يكن يفتح فمه في الفصل أبداً، ولكن .. قد يحدث مرات كثيرة أن يفتحه عن آخره.. هكذا.. (تفتح فمها كما في حال التثاؤب)
عبد العلـــي : وهكذا يكون التثاؤب الجميل ..
صليحـــــــة : يتثاءب وكأنه لم ينم سنتين.. (يضحكان)
عبد العلـــي : لا شك أنه اليوم قد نسي كل هذا..
صليحـــــــة : ينساه؟ وبهذه السرعة.. لا أظن..
عبد العلـــي : من حقه أن ينسى خيبته القديمة، أو على الأقل، يحاول أن ينساها، وينسى معها تلك المدرسة القاسية..
صليحـــــــة : من تقصد ياعبد العلي ؟
عبد العلـــي : أقصد تلك الشابة التي كان يخشاها حتى الموت، والتي كان يسميها ـ مع أصدقائه ـ الحراقية..
صليحـــــــة : أتسخر من جديتي ياعبد العلي ؟
عبد العلـــي : أنا ؟ أبداً.. أبداً يا أيتها المدرسة الصارمة في الحق.. إنني فقط أريد أن أقول..
صليحـــــــة : اسمع.. أنا فعلاً كنت قاسية، ولكن رحمة بالأطفال، وغيرة على العلم وعلى الأخلاق وعلى الشرف ..
عبد العلـــي : أعرف .. أعرف يا صليحة، ولا أحد يعرفك أحسن مني..
صليحـــــــة : وكنت أغضب أيضاً، ولكن على المتكاسلين وعلى الغشاشين وعلى التافهين وعلى الكذابين ..
عبد العلـــي : نعم .. نعم.. وهل قلت أنا إلا هذا؟ (يسمع صوت سلطان في الخارج)
صليحـــــــة : هذا ولدنا سلطان قادم يا عبد العلي ..

11 - مصيبة بحجم .. الفرج ..

(يدخل سلطان وهو يجري)

سلطـــــــان : ماذا جرى؟ أخبريني يا أمي.. أريد أن أعرف.. ومن حقي أن أعرف..

صليحــــــة : مصيبة .. مصيبة حلت بالبلاد والعباد..

سلطـــــــان : مصيبة أخرى؟

صليحــــــة : وهذه هي الأكبر.. هي أم كل المصائب يا سلطان..

سلطـــــــان : يا إلهي.. ما هذا الذي أسمع؟ لماذا تأتينا المصائب وحدها في هذا البيت؟ لماذا ولنا منها ما يكفي أمة كاملة.. اسمعي يا أمي، إذا استمر الحال على هذه الحال، فينبغي أن نفكر في تصدير بعض هذه المصائب إلى الخارج..

عبد العلـــي : مصيبة في حجم خيبتك يا سلطان..

سلطـــــــان : في حجم خيبتي؟

عبد العلـــي : واحد من تلاميذ أمك أصبح وزيراً كبيراً..

سلطـــــــان : أصبح وزيراً ؟ هذه ليست مصيبة يا أمي..

صليحــــــة : ليست مصيبة؟

سلطـــــــان : هذا هو الفرج بعينه، الفرج الأكبر يا أمي، أخيراً جاءنا يمشي على العجلات.. ماذا تنتظرين يا معلمة الوزير؟ قولي له أهلاً وسهلاً ومرحباً.. فكري جيداً في مستقبل ولدك سلطان..

صليحــــــة : لقد فكرت.. فكرت كثيراً في مستقبل هذا البلد..

سلطـــــــان : عجباً.. وما دخلك أنت بهذا الوطن؟ ما أنت إلا أم.. أمي أنا، وزوجة هذا الرجل، صاحب الثلاجة..

صليحــــــة : ما دخلي أنا؟

سلطـــــــان : يكفيك أن تفكري في مستقبلي أنا.. أنا ولدك الوحيد، وأنت أمي الوحيدة، وهذا الرجل - سامحه الله - هو أبي الوحيد..

صليحــــــة : ماذا تخرف أيها الولد المجنون؟

سلطـــــــان : أنت مدرسة الوزير يا أمي، وقديماً قال الناس، من علمني حرفاً صرت له عبداً، وأنت قد علمت هذا الوزير كل الحروف..

من الألف إلى الياء، أليس كذلك يا أمي؟

صليحــــــة : يا الله.. ماذا أقول لهذا الولد؟

سلطـــــــان : لا تقولي شيئاً.. يكفيك أن تحسي اليوم بالفخر والسعادة..

صليحــــــة : نعم.. ما أسعدني .. (تنطقها بصعوبة)

سلطـــــــان : لقد أصبح لك عبد من العيار الثقيل.. عبد من الوزراء يا أمي.. عبد أبيض يقول لك شبيك لبيك وكل ما تريدينه يحضر بين يديك.. هو عبد وكفى، ولا تسألي إن كان من الجن أو الشياطين، أو كان من الملائكة..

صليحــــــة : حماسك هذا يخيفني يا سلطان..

سلطـــــــان : يا أبي.. ماذا تنتظر؟ قل لها عهد الخوف مضى وانقضى إلى غير رجعة.. قل لها إن أيام البؤس قد راحت..

عبد العلـــي : إنني..

سلطـــــــان : يا أمي.. هل نسيت أنني مازلت بلا شغل؟

صليحــــــة : وكيف أنسى ذلك؟

سلطـــــــان : وأن أبي مازال ينتظر الترخيص؟

صليحــــــة : هذه أشياء بسيطة. بسيطة جداً يا سلطان..

سلطـــــــان : نعم، هي أشياء بسيطة وصغيرة جداً، ولكنها تحتاج إلى واسطة كبيرة، أليس كذلك يا أبي؟

عبد العلـــي : إنني..

سلطـــــــان : يا أيها الوالد، بالله قل شيئاً آخر..شيئاً آخر هذه ال (إنني) قل للسيدة زوجتك أن تطلب مقابلة السيد الوزير..

صليحــــــة : أنا أطلب مقابلة الوزير؟ ولماذا؟

سلطـــــــان : أنت مدرسته يا أمي، ولك عليه حقوق وحقوق..

صليحــــــة : يصعب علي أن أطلب شيئاً من أحد، كائناً من كان هذا الأحد..

سلطـــــــان : اطلبي هذا يا أمي.. هذه المرة فقط، ولتكن الأولى والأخيرة، وبعدها سيتغير كل شيء، أليس كذلك يا أبي؟ تكلم.. قل إنني..

عبد العلـــي : إنني..

سلطـــــــان : وحق الله قالها..

عبد العلـــي : متفق مع الولد يا صليحة..

سلطــــــان : يا إلهي.. وقال غيرها أيضاً.. (في فرح) عاش الوالد العظيم.. هات رأسك أقبله..

عبد العلـــي : يا صليحة، إنه من حقنا أن نرى الدنيا كما هي الدنيا، وأن نحيا كما يحيا كل الناس..

صليحــــــة : نعم، من حقنا أن نحيا، كما يحيا أشراف الناس..

عبد العلـــي : لقد ولى الشباب يا صليحة، ومن حقنا أن ننعم بشيخوخة مريحة..

صليحــــــة : يا الله.. مازلت لم أصدق بعد، كيف أن ذلك (الجربوع) يصبح وزيراً.. ماذا جرى للدنيا يا عبد العلي ؟

عبد العلـــي : أنت ماذا يعنيك من هذه الدنيا.. يكفيك أن تصدقي كل هذا الذي يجري ويدور، وأن تعرفي أن هذا الزمن هو غير ذلك الزمن، وأن هؤلاء الناس هم غير أولئك الناس..

صليحــــــة : ماذا أقول يا ربي. هل أصدقكما أم أصدق نفسي؟

سلطــــــان : صدقينا نحن، وسوف تربحين الربح المبين..

عبد العلـــي : سنربح نحن أيضاً، تماماً كما ربح رابح، وربح كل الرابحين السعداء..

صليحــــــة : يا الله .. زمنك هذا اليوم زمن غريب وعجيب، وهو رهيب وكئيب حتى الفزع المرعب..

سلطــــــان : غداً يا أمي سيتغير كل شيء .. وسوف نرى الأيام بعين أخرى..

صليحــــــة : (وكأنها تخرج من غيبوبة) آه.. ماذا قلت؟

سلطــــــان : قلت إن الخير أيام، وإنه قد جاء الوقت لنرى الأيام بكل ألوانها الحقيقية..

صليحــــــة : يا ولدي.. ألم تسمع قول من قال : أعط ما لله لله وما لقيصر لقصر؟

سلطــــــان : مرة أخرى نعود لكلام المدارس.. ولماذا يا أمي أعطي؟ ودائماً أنا الذي أعطي؟ لماذا؟ إنني أريد أن آخذ، كما يأخذ الآخرون،هل فهمت؟ وهذا من حقي، ومن حقنا جميعاً.. لماذا نعطي نحن ما لله لله، ولا يعطي الله إلا لأولاد الكلب؟ لماذا؟

صليحـــــــة : استغفر الله يا ولدي.. هذا كلام لا يقال..

سلطـــــــان : لا يقال.. ولكنني قلته يا أمي، لأنه يجثم على قلبي، ويخنق أنفاسي، وسأظل أقوله حتى تتغير هذه الدنيا..

صليحـــــــة : أيها الولد.. في المدرسة لم يعلموك مثل هذا القول..

سلطـــــــان : في المدرسة لم يعلمونا أي شيء.. لا شيء إلا الكلام الذي ليس له أي معنى.. هل تعرفين يا أمي أن أستاذة الفنون الجميلة لم تكن جميلة؟

صليحـــــــة : ماذا يقول هذا الولد؟ ومن أين يأتي بهذا الكلام؟ (وهي تنظر إلىعبد العلي)

سلطـــــــان : وأن أستاذ التربية الوطنية يعاني من فقر شديد في الوطنية..

عبد العلـــي : هذا كلام آخر يا رأس الغول.. كلام له وقت آخر، أما الآن، فإن المطلوب هو أن نذهب إلى السيد الوزير.. تعالي يا صليحة.. (يمسكها من يدها)

سلطـــــــان : (يمسك يدها الأخرى) وسنطرق بابه، ويخرج إلينا خدمه، ثم يكون اللقاء التاريخي..

عبد العلـــي : هو لقاء واحد يا صليحة.. واحد فقط..

سلطـــــــان : نعم، وبعده يتغير التاريخ بكل تأكيد..

عبد العلـــي : لنغير ملابسنا أولاً، ثم من بعد، نذهب إليه في موكب مهيب.. سأرتدي البذلة الجديدة، ومعها أضع ربطة العنق الجديدة..

سلطـــــــان : غير ملابسك، ولكن بسرعة يا أبي..

عبد العلـــي : رمشة عين وأكون جاهزاً..

سلطـــــــان : إن هذا الزمن لا ينتظر المتخلفين يا أبي..

عبد العلـــي : (كمن تذكر شيئاً) انتظر.. انتظر قليلاً.. كدت تنسيني شيئاً خطيراً يا رأس الغول..

سلطـــــــان : إيه.. انتبه لما تقول يا أبي.. إن رأس الغول هذا سيصبح غداً رأس الحكمة والعبقرية..

عبد العلـــي : قل إن شاء الله يا.. (يحرك شفتيه من غير صوت)

سلطـــــــان : سيصبح موظفاً كبيراً ومسؤولاً خطيراً..

عبد العلـــي : ومع ذلك فلا بأس أن تقول إن شاء الله يا .. إذاً اسمع أيها

الموظف الكبير، كنا على وشك أن ننسى..

سلطـــــــان : ننسى ماذا يا أبي؟

عبد العلـــي : ننسى أن بالثلاجة حلوى رائعة وشهية..

سلطـــــــان : سنأكلها.. إن شاء الله، عندما نعود من عند الوزير، ويكون ذلك احتفالاً بالعصر الجديد..

عبد العلـــي : فكرة رائعة يا..

سلطـــــــان : رأس الغول.. سابقاً.. (يضحكون جميعهم)

عبد العلـــي : هذه المرة أنت الذي قلتها.. أنت ولست أنا.. هل لاحظت شيئاً يا صليحة؟ لقد تغير الولد، وأصبح يفكر بشكل صحيح..

سلطـــــــان : وكل هذا بفضل رياح العهد الجديد، أدخلها الله علينا بالصحة والعافية وبالخير والبركات، وبالنجاح والرزق الوفير، آمين يا رب العالمين..

(يخرجون .. ظلام تام)

النفس الثاني

12 - كيف حال الشغل يا محمد؟

(فيلا الوزير رابح ولد رابح، كل شيء مرتب بذوق خاص، على اليمين مكتب فخم، وفي الخلف خزانة كتب.. كتب مرسومة على رفوف..على اليسار بوابة الفيلا، وعندها يقف بواب عجوز.. يتحرك الخدم في كل الاتجاهات، من غير أن نعرف . بالضبط . ماذا يفعلون. يقومون بحركات شبه آلية، يغيرون الأشياء من أماكنها، يفتحون أبواباً ثم يغلقونها، يرفعون سماعات التلفون ثم يضعونها.. يدخلون ويخرجون ثم.. يخرجون ويدخلون)

رئيس الخدم : (يدخل، ثم يقف في مكانه كالصنم) هيا هيا، إن الوقت يمر بسرعة، فقد يحضر السيد الوزير في أية لحظة، وأنتم لم تفعلوا بعد شيئاً..

الخـــــادم 1 : سيدي رئيس الخدم المحترم، هل يمكنني أن..؟

رئيس الخدم : نعم، يمكنك أن.. تحرك بسرعة ولا تقل شيئاً..

الخـــــادم 2 : وأنا يا سيدي؟

رئيس الخدم : ماذا بك أنت؟

الخـــــادم 2 : هل آخذ ال..؟

رئيس الخدم : نعم خذه أو خذها أو خذهما أو خذهم ، لست أدري، المهم افعل شيئاً.. أي شيء.. أنتم هنا من أجل أن تعملوا..(تدخل الخادمة حياة وهي تحتضن كلبة، تغني بالفرنسية) إيه .. تعالي أنت.. إلى أين يا.. ذكريني باسمك..

حيـــــــــاة : (في دلال) اسمي أنا أو اسم للا الكلبة؟

رئيس الخدم : اسمك أنت..

حيـــــــــاة : آه ..اسمها يا سيدي هو لويزة .. لويزة بنت الأكابر..

رئيس الخدم : لقد سألتك عن اسمك.. اسمك أنت يا غبية، ألا تفهمين؟

حيـــــــــاة : آه .. فهمت.. فهمت، ولماذا تصرخ هكذا؟ لقد أزعجت للا الكلبة.. أنا يا سيدي اسمي. اسمي حياة.. اسم رائع، أليس كذلك؟ إياك أن تحتقرني، فأنا من عائلة محترمة، وخريجة جامعية.. لقد درست في كلية التربية..

رئيس الخدم : آه.. كلية التربية.. التربية البشرية طبعاً..
الخـــادم 1 : لا .. التربية الكلبية يا سيدي..
حيـــــاة : ماذا يقول هذا الأحمق؟ ليس بالكلية شعبة لتربية الكلاب.. أميّ.. جاهل..
رئيس الخدم : رأيتك خارجة يا حياة، فإلى أين؟
حيـــــاة : أنا؟ سآخذ الكلبة لويزة في فسحة ثم أعود..
الخـــادم 1 : آه.. ما أسعدها يا ربي..
حيـــــاة : (في دلال) نعم.. ما أسعدني..
الخـــادم 1 : لا.. لا .. فهمت خطأ يا حياة، بل ما أسعد هذه الكلبة المدللة.. آه.. ماذا أقول لك يا بنت الناس؟ أين أنت وأين أنا من سعد هذه الكلبة السعيدة؟ يا رب العالمين.. لماذا خلقتنا بشراً ؟

(تغني الخادمة حياة للكلبة بالفرنسية وهي تستعد للخروج)

الخـــادم 2 : يا حياة، لماذا تغنين لها بالفرنسية؟
حيـــــاة : لماذا؟ لأن كلبة المدام، حرم السيد الوزير، لا تعرف العربية.. هل نسيت أنها فرنسية..
الخـــادم 2 : والله كدت أنسى..
حيـــــاة : هي فرنسية أباً عن جد.. أراكم بخير .. (تخرج وهي تغني)
الخـــادم 2 : عجباً.. سيدي وسيدتي سافرا إلى فرنسا من أجل شراء كلبة.. ما هذا الغلط يا عباد الله .. ألا يعرفان بأن الكلاب موجودة في كل البلدان؟
رئيس الخدم : اشتغل.. اشتغل قلت لك وكفاك ثرثرة، إن مثل هذه الأمور الصعبة لا يمكن أن يفهمها الخدم، هل سمعت يا ولدي؟
الخـــادم 2 : نعم سمعت.. (لنفسه) ولكنني لم أفهم..

(يدخل الخادم الثالث وهو في زي بستاني، يحمل بين يديه باقة ورد)

الخـــادم 3 : (للخادم الثاني) خذ هذه الورود يا جاهل وتعلم منها..
الخـــادم 2 : أتعلم منها؟ ماذا أتعلم يا صاحبي؟

الخـــــادم 3 : تعلم كيف تكون جميلاً من غير أن تقول شيئاً.. خذ.. (يعطيه باقة الورد ويهم بالانصراف)

رئيس الخدم : إلى أين يا.. ؟

الخـــــادم 3 : سأغير هذه الملابس ثم أعود، عملي في الحديقة انتهى.. (يخرج)

رئيس الخدم : هيا .. هيا .. اشتغلوا بسرعة.. بسرعة أكثر.. المدام قادمة بعد حين.. (يزداد إيقاع الحركة أكثر، حتى يصبح مشابهاً لأفلام السينما الصامتة . تدخل المدام مونيكا)

المــــــــدام : كيف حال الشغل يا محمد؟

رئيس الخدم : كما ترين يا مدام، على أحسن ما يرام..

المــــــــدام : أوه.. رائع.. رائع جداً.. هكذا يكون الشغل الحقيقي..

الخـــــادم 2 : (بصوت هامس) هل رأيتم بنت الرومية؟ إنها في كامل زينتها.. وكأنها يا عباد الله دمية..

المــــــــدام : إن السيد الوزير مازال غائباً، ولست أدري متى يعود..

الخـــــادم 1 : (بالعامية) هذا زمان العجب والغرائب، لمرا معكرة ومكحلة والرجل غائب..

المــــــــدام : ماذا يقول هذا البليد؟

الخـــــادم 2 : إنه لا يقول شيئا يا مدام.. مطلقاً لا شيء..

المــــــــدام : من يكون هذا الولد؟ إنني لا أعرفه..

رئيس الخدم : آه هذا.. هو ابن أختي يا مدام، ولقد التحق بالخدمة لديكم مؤخراً، وهو شاب لطيف وظريف..

المــــــــدام : قل لي ما اسمك يا ولد..

الخـــــادم 2 : أنا .. أنا اسمي موسى يا مدام .. (لنفسه) وإذا ترقيت في الخدمة فسأصبح فرعون.. مثل خالي..

المــــــــدام : قل لي أيضاً، أين هو الحاج البواب..

البـــــــواب : (يأتي صوته من غير أن نراه) إنني هنا يا مدام..

المــــــــدام : آه .. أنت هنا، مع أنني لا أراك، ولا أحد يمكن أن يراك.. من أعجب العجائب أنني كلما سألت عن هذا الحاج البواب تقولون لي:

جميعهـــــم : (بصوت واحد) ذهب ليصلي يا مدام..(يدخل الحاج البواب)

البـــــواب : بونجور مدام..

المـــــدام : أريد أن أسألك، أنت كم تصلي في اليوم من مرة؟

البـــــواب : إنني يا مدام..

المـــــدام : ثم إنني أيضاً، أريد أن أعرف، أنت عند من تشتغل؟ عندنا أم عند مولانا؟

البـــــواب : أشتغل عندكم يا مدام..

المـــــدام : إذن اتبعني.. إنني أريدك في أمر هام.. تعال أنت أيضاً.. (لرئيس الخدم) وحتى أنت .. (للخادم الأول) اتبعوني كلكم.. لا .. أنت عليك أن تبقى هنا .. (للخادم الثاني.. يدخل الخادم الثالث وهو يستكمل ارتداء بذلة السائق)

الخـــادم 3 : وأنا يا مدام؟

المـــــدام : أنت أيضاً اتبعني.. (تخرج المدام يتبعها خدمها)

الخـــادم 2 : (وحده، يتأمل ما حوله في اندهاش) يا رسول الله.. كل شيء ملون في هذا البيت.. نعم؟ (وكأن واحداً من الجمهور يسأله) تسأل عن بيتي أنا؟ وهل هو ملون أيضاً ؟ (يضحك) ها .. ها .. بيتي أنا، وهو في الحقيقة ليس بيتي، له يا سادة يا كرام لونان، الأبيض والأسود، وفي أغلب الأحيان يختفي الأبيض ولا يبقى إلا الأسود وحده لا شريك له..ما أنا إلا خادم يا عباد الله، خادم أنا والوزير سيدي ومولاي، ولقد تعلمت من بعض أولاد الحلال أن سيدي له أسياده، وأن أسياده لهم أسياد أيضاً.. كل واحد منا له سيد، ومن ليس له سيده له مولاته، هكذا يقولون، وأنا، بنعمة ربي، وبفضل خالي، لدي سيدي ومولاتي.. (ينتبه فجأة إلى أنه بقي وحده) ينبغي أن أقوم بجولة استكشافية، ومعرفة الأشياء خير من جهلها، أليس كذلك؟ (يخرج)

13 - غداً ماذا سوف يبقى منك للتاريخ؟

(تدخل صليحة، يتبعها زوجها عبد العلي وولدها سلطان، ينظرون حولهم فلا يجدون أحداً)

سلطـــــــان : انظر حولك يا أبي.. انظر، وكن حار القلب والكبد مثلي..

عبد العلـــي : إنني أنظر..

سلطـــــــان : وأنت يا أمي، هل رأيت أين يعيش الناس؟ ما أعجب هذه الدنيا اللعينة، ولدك النجيب يعيش في خربة، وتلميذك الخائب يعيش في قصر..

صليحـــــــة : هي الدنيا هكذا، وهي حظوظ يا ولدي..

سلطـــــــان : يا ربي.. لماذا خلقتنا آدميين، إن كان مكتوباً علينا أن نموت ونحيا، مثلما تموت وتحيا البهائم؟

عبد العلـــي : ماذا يقول هذا البغل يا صليحة؟

سلطـــــــان : إنني أتساءل دائماً وأقول، هذا الوالد المسكين، ماذا سوف يبقى منه للتاريخ غدا؟

عبد العلـــي : ماذا يبقى؟ اطمئن يا رأس الغول، ستبقى منه أشياء كثيرة..

سلطـــــــان : (يضحك) قال ، أشياء كثيرة..

عبد العلـــي : ستبقى ديوني المتراكمة علي..

سلطـــــــان : آه.. ديونك؟

عبد العلـــي : نعم، ديوني التي عليك أن تسددها بعد موتي، ستبقى لك أنت، ولصديقك التاريخ يا ولدي، هل فهمت؟

سلطـــــــان : فهمت.. وليتني ما فهمت ولا سألت.. ليت أني كنت أصماً وأعمى، حتى لا أرى فقرك وبؤسك، وحتى لا أسمع عن ديونك..

عبد العلـــي : هو بؤسنا جميعاً يا رأس الغول..

سلطـــــــان : وأنت يا أمي.. لم تخبريني، ما هو رأيك..

صليحـــــــة : ما هو رأيي.. رأيي هو أن نعود من حيث أتينا..

سلطـــــــان : لا .. لا .. كل شيء إلا هذا يا أمي..

عبد العلـــي : كيف نعود يا مولاة الدار ونحن على أبواب السعد والمجد؟

صليحـــــــة : أي مجد ياعبد العلـي ؟

سلطـــــــان : نحن في ضيافة الربح يا أمي، ولابد سنربح.. سنربح كثيراً..

صليحـــــــة : (لنفسها) أوهام هذا الولد تخيفنا..

سلطـــــــان : إنه الوزير، هل نسيت هذا يا أمي؟ يكفيه أن يقول قولاً ليكون كل شيء، ويكفيه أن يوقع توقيعاً صغيراً ليتغير كثير من الأشياء، وهل التوقيع صعب يا أمي؟ أبداً..

صليحـــــــة : يا سلطان، متى تعي وتفهم، أن هؤلاء الوزراء مثلهم مثل الدنيا الغدارة..

سلطـــــــان : مثل الدنيا؟

صليحـــــــة : نعم، ولا أحد يأخذ من هذه الدنيا شيئاً. إننا ندخلها عراة، ونخرج منها عراة، ولا يبقى إلا وجه الله..

سلطـــــــان : لا .. لا .. هذا كلام الدراويش يا أمي..

صليحـــــــة : يجب أن تعرف، أن أكبر ربح يمكن أن يصيبنا من هؤلاء الوزراء هو ألا يسيئوا إلينا.. تعالوا نعود من حيث أتينا.. تعال ياعبد العلـي .. (تدخل حياة الخادمة وهي تحتضن الكلبة)

حيـــــــاة : أوه.. في البيت ضيوف.. قولي لهم بونجور يا لويزة..

عبد العلـــي : يا إلهي.. إنني أعرفها يا سلطان..

حيـــــــاة : تعرفني أنا يا سيدي؟

عبد العلـــي : لا.. ليس أنت.. إنني أعرف هذه المحروسة.. ما شاء الله.. انظر يا سلطان، لقد ازدادت حسناً وجمالاً.

سلطـــــــان : أصبحت عروسة يا أبي.. (وهو ينظر إلى حياة) اللهم اجعلها من نصيبنا..

عبد العلـــي : هي كلبة السيد الوزير عرفتها..

حيـــــــاة : نم، هي كلبته المحببة.. يحبها حتى الجنون..

سلطـــــــان : أنا أيضا مستعد لأن أحبها حتى الجنون.. (وهو ينظر إلى حياة)

حيـــــــاة : (بدلال) صحيح ما تقول؟

سلطـــــــان : وحق الله صحيح يا بنت الناس..

عبد العلـــي : يا سبحان الله.. كلبة الوزير تشبه السيد الوزير، تشبهه بشكل غريب، إن من يراها يظن أنها أخته أو ابنته..

سلطـــــــان : (بهمس) يا أيها الوالد، ماذا تقول؟

عبد العلـــي : ماذا أقول.. أقول ما يمكن أن يقوله كل واحد.. (يتأمل المكان حوله) ورغم كل هذا، فإنه لابد أن ينتهي لها يوماً..

حيـــــــــاة : ينتهي إلى أي شيء يا جدي؟

عبد العلـــي : إلى الثلاجة يا صبية.. الثلاجة الكبرى..

سلطـــــــان : (محرجاً) أبي .. أبي .. ألا ترى أنه.. لكي.. يمكن.. فيها..

عبد العلـــي : نعم فيها.. في تلك الثلاجة يا ولدي سيكون ممدداً عارياً.. عارياً إلا من ذنوبه..

حيـــــــــاة : (تضحك في حياء مفتعل) السيد الوزير عار؟ هئ هئ..

عبد العلـــي : عارياً لا ينفع أحداً، ولا يؤذي أحداً، ولا يتعالى على أحد، ليس له كلب ولا كلبة، ولا صاحب ولا صاحبة، ولا حجاب ولا خدام، ولا طوابع ولا أختام، لا شيء.. لا شيء..

سلطـــــــان : (يهمس لأمه) يا أمي .. افعلي شيئاً، قولي له ليس هذا وقت الثلاجة..

عبد العلـــي : ما أغرب هذه الدنيا.. من كان يظن أنني سوف أدخل قصر وزير يوماً..

سلطـــــــان : وأن أكون أنا إلى جانبه..أنا ولدك الوحيد سلطان، خريج كلية الحقوق..

حيـــــــــاة : تشرفنا.. اسمك جميل يا سلطان..

سلطـــــــان : واسمك أجمل يا حياة..

عبد العلـــي : لقد جئت أنا إلى الوزير يا صليحة، ولو شاء الله لجاء هو إلي، ولكن ماذا أقول، كل مؤجل قريب، أليس كذلك يا صبية؟

حيـــــــــاة : آ.. ماذا؟ (وقد كانت مستغرقة في النظر إلى سلطان) نعم.. نعم.. هو ذاك بلا شك.. (لسلطان) عن أي شيء كان يتحدث الوالد؟

سلطـــــــان : ماذا أقول لك يا آنسة سوى أنني لا أدري، أو.. لا أريد أن أدري..

حيـــــــــاة : أبوك هذا رجل رائع يا.. سلطان..

سلطـــــــان : نعم، رائع جداً، وفظيع جداً..

حيـــــــــاة : ما أسعدك به.. وبالسيدة أمك أيضاً..

سلطـــــــان : حقاً.. ما أسعدني به، خصوصاً عندما يتلو نشيد الإنشاد، ويشرع في سب البلاد والعباد..

صــــــــوت : (خارجي هو صوت المدام) حياة.. أين أنت يا حياة؟

حيـــــــــاة : إنني هنا يا مدام.. (لسلطان) إنها تنادي حياة ..

سلطـــــــان : وحياة هي أنت، وأنا سلطان.. سلطان لأنني رأيتك، وتعرفت عليك..

حيـــــــــاة : يجب أن أذهب.. أذهب الآن ومن بعد نلتقي .. (تلوح بيدها وهي تخرج)

سلطـــــــان : شيء طبيعي أن نلتقي يا حياة .. (وهي تخرج تصطدم بكرسي .. تتابع سيرها.. يبقى سلطان يحدق في الفراغ)

عبد العلـــي : إيه.. سبحان الله.. أين ذهبت؟

سلطـــــــان : من.. أنا؟

عبد العلـــي : ابق معنا يا ولدي سلطان، وكن معنا لا تكن مع الحالمين..

صليحـــــــة : من الأحسن لو تسأله، إلى أين وصلت..

سلطـــــــان : إنني يا أمي..

صليحـــــــة : أين تظن نفسك أيها القنفذ الأملس؟ أين؟

سلطـــــــان : والله ثم والله ثم والله إنني يا أمي..

عبد العلـــي : يا رأس الغول .. يجب أن تعرف أنك في مسرحية جادة ومحترمة..

صليحـــــــة : (تضحك) لقد كان على وشك أن يحولها إلى فيلم هندي..

عبد العلـــي : هذه مسرحية يا سلطان..

سلطـــــــان : وهل قلت أنا عكس هذا؟

عبد العلـــي : وقد كتبها كاتب محترم، وينبغي أن نحياها مع هؤلاء الناس بشكل محترم، وإنني أحذرك يا رأس الغول..

سلطـــــــان : تحذرني؟ من أي شيء يا أبي؟

عبد العلـــي : من النهايات السهلة والسعيدة، ومن الأحلام البليدة..

صليحـــــــة : إياك يا سلطان أن تنخدع، واعلم انه لا شيء يأتي مع الأحلام الكاذبة..

سلطـــــــان : ماذا تقولين يا أمي؟

صليحـــــــة : إياك أن تظن، ولو للحظة، أن المشاكل سوف تنتهي هذا اليوم..

سلطـــــــان : ولم لا تنتهي يا أمي؟

صليحـــــــة : وأكيد أنها سوف تنتهي يوماً، ولكن ليس بالسرعة السحرية التي تتخيل يا سلطان.. لا تكذب على نفسك، ولا تترك نفسك تكذب عليك، ولا تضع في ذهنك أنك سوف تخرج من هذا البيت وقد أدركت الوظيفة والعروس والشقة وكل شيء .. إن الحياة ليست بالسهولة التي قد نتخيل أحياناً.. (يسمع صوت بالخارج)

14 - البوابون يعرفون أكثر..

(يدخل البواب العجوز، ويفاجأ إذ يرى في البيت غرباء)

البـــــواب : يا رسول الله، هؤلاء الناس من أين جاءوا؟ وكيف دخلوا؟ ومن يكونون؟ لا أظن أنني رأيتهم من قبل.. (وهو يتفحصهم عن قرب بنظره) يا سيدي المحترم، اسمح لي أن أقول لك، ولمن معك أيضاً، إنه لم يكن عليكم أن تدخلوا حتى ..

عبد العلـــي : هل سمعت يا صليحة؟ لقد قال حتى.. (للبواب) ولكننا دخلنا يا سيدي، وحتى من غير حتى دخلنا.. (يضحك)

البـــــواب : مرة أخرى، اسمح لي أن أقول لك، إن الدخول إلى حرمات البيوت هو اعتداء عليها، هل سمعت؟

عبد العلـــي : ماذا قلت يا سيد؟

البـــــواب : هذا اعتداء قلت لك.. اعتداء فصيح وصريح .. أولاً، علي أنا، على مهمتي واهتمامي..

سلطـــــان : إيه .. إيه.. ماذا تقول أنت يا جدي؟ حسن عباراتك الله يخلليك.. حسنها واعرف مع من أنت..

عبد العلـــي : نعم، من أنت؟ من أنت حتى تكلمنا بهذه اللهجة السوقية؟

البـــــواب : من أنا؟ أنا البواب السوقي..

عبد العلـــي : آه.. البواب، إذاً فأنت البواب السي.. ؟

البـــــواب : السي الحاج..

عبد العلـــي : تماماً، مازلت شاباً يا ابن الذين.. سبحان الله..

البـــــواب : ومن حقي أن أعرف من أنتم، أليس كذلك؟

عبد العلـــي : وهو كذلك..

البـــــواب : أعرف من أنتم، ومن أين جئتم، ولماذا جئتم.. هذه هي أصول الشغل..

عبد العلـــي : آه، إنه يسأل من نحن يا سلطان، إذاً اسمع يا السي الحاج، إن هذه المرأة التي أمامك هي الأستاذة صليحة..

البـــــواب : صليحة؟ لا أعرفها يا سيدي..

عبد العلـــي : أعرف أنك لا تعفرها، ولو كنت من أهل المعرفة لعرفتها..

البـــــــواب : قصدي أن أقول إنني لا أعرف وظيفتها، فبأي شغل تشتغل يا سيدي؟

سلطـــــــان : إنها تشتغل بالصناعة..

البـــــــواب : أهلاً . أهلاً .. امرأة تشتغل بالصناعة، هذا شيء نادر جداً في بلدنا.. لم تقل لي.. صناعة ماذا يا سيدي المحترم؟

عبد العلـــي : صناعة ماذا؟ ها.. ها.. صناعة المعروف في غير أهله.. هذه المرأة يا سيدي الحاج صنعت لكم ولكل البشرية وزيراً كبيراً وأنتم لا تدرون.. إنها مربية وزيرك المحترم، هل فهمت الآن؟

البـــــــواب : أستسمحك سيدتي الفاضلة، لم أكن أعرف هذا ..

عبد العلـــي : أما أنا فيمكنك أن تعتبرني موظفاً كبيراً..

البـــــــواب : ما شاء الله، أنت موظف؟

عبد العلـــي : نعم، أنا موظف غير محظوظ ولا ..

البـــــــواب : وهل لديك بطاقة يا سيدي؟ بطاقة تثبت أنك موظف؟

عبد العلـــي : ليس معي الآن بطاقة، لكن لدي ما يثبت بأنني فعلاً موظف..

البـــــــواب : ماذا لديك يا سيدي؟

عبد العلـــي : لدي فقري وبؤسي وفراغ جيوبي، وهي ـ كلها ـ دلائل قاطعة وساطعة على أنني موظف.. موظف مع الدولة.. (يخرج جيوبه) انظر.. انظر جيداً.. هل تأكدت الآن من أنني حقاً موظف؟

البـــــــواب : آه.. تقريباً يا سيدي.. تقريباً.. سبحان الله .. كلنا ذلك الرجل..

عبد العلـــي : قديماً كان العبد يسمى عبداً، أما اليوم، وقد تطورت الدنيا، فقد أصبح هذا العبد يسمى موظفاً..

البـــــــواب : أهلاً وسهلاً.. أهلاً بالسادة المحترمين.. هل بإمكاني أن أسأل عن موضوع الزيارة؟

صليحـــــــة : موضوع الزيارة هو.. هو ..

البـــــــواب : يكفي يا سيدتي.. لقد عرفت..

عبد العلـــي : عجباً، كيف عرفت، وهي لم تقل بعد شيئاً ؟

البـــــــواب : تلك أسرار يا سيدي الموظف، هي فعلاً لم تقل شيئاً، ولكن أشياء فيها قالت أشياء كثيرة..

سلطـــــــان : كل شيء؟ حتى ذلك الذي يتعلق ب..؟

البـــــواب : نعم، إن عمراً طويلاً قضيته في هذه المهنة قد علمني أشياء كثيرة..

سلطـــــــان : ماذا علمك يا عمي؟

البـــــواب : علمني كيف أرى وأقرأ.. أقرأ نفوس الزوار وطارقي أبواب السادة الكبار، أقرأ الذي خلف العيون، وأعرف في الناس ماذا يريدون وماذا يطلبون..

عبد العلـــي : ونحن.. نحن في نظرك ماذا نريد؟

البـــــواب : ماذا تريدون.. (وهو يتأملهم بعد الآخر) هذا الولد يريد وظيفة بلا شك..

سلطـــــــان : نعم، وأبي، هل تعرف ماذا يريد؟

عبد العلـــي : اسأله فقط عن نفسك يا سلطان..

البـــــواب : الوالد يريد رخصة ما، قد تكون رخصة سيارة أجرة.. لا . لا، في مثل هذا العمر المتقدم، لا أظنك تقدر على السياقة، هو لا يريد إلا رخصة كشك أو مقهى أو مطعم أو محل لبيع الحلويات والمرطبات والمشروبات المثلجة..

سلطـــــــان : (يضحك) المثلجة؟ كأنه كان معنا يا أبي..

البـــــواب : أما هذه المربية الفاضلة، فلست أدري ماذا تريد، وأظنها لا تريد شيئاً، ولدي إحساس بأنها متضايقة وغير مرتاحة، ولست أدري لماذا.. قد تكون متضايقة لوجودها هنا.. نعم، هي متضايقة قليلاً..

صليحـــــــة : (لنفسها) بل متضايقة كثيراً كثيراً..

عبد العلـــي : في هذه أخطأت يا سيدي الحاج، فهي فعلاً كانت .. كانت متضايقة، ولكنها الآن لم تعد، وهي الآن مرتاحة جداً جداً..

البـــــواب : لا أظن هذا يا سيدي الموظف..

عبد العلـــي : اسمع أيها البواب المحترم، نحن اليوم نعرض عليك شرفاً عظيماً، شرف أن تكون معنا، وأن تصاحبنا إلى السيد الوزير.

البـــــواب : آه، وأين هو السيد الوزير.. إنه ليس بالبيت يا محترمين..

سلطـــــــان : هل سمعت يا أمي؟ السيد الوزير ليس هنا..

البـــــواب : لقد سافر منذ أيام ، ولحد الآن لم يعد بعد..

صليحـــــة : ها.. كنت أتوقع هذا، قلبي حدثني بذلك..تعال ياعبد العلي .. تعال يا سلطان.. (وهي تهم بالخروج)

عبد العلـــي : إلى أين يا صليحة؟

صليحـــــة : إلى أين؟ نعود إلى البيت.. ألم تسمع ما قال الرجل؟

عبد العلـــي : انتظري يا مولاة الدار، وهل صدقت ما قال هذا النمس العجوز؟

صليحـــــة : ولم لا أصدقه؟ إنه شيخ وقور..

البـــــواب : وقد أديت فريضة الحج ثلاث مرات، فأنا حاج بيت الله يا سيدتي..

عبد العلـــي : هل سمعت؟ إنه حاج، وهذا سبب آخر لكي لا نصدقه..

صليحـــــة : ماذا تقول ياعبد العلي ؟ إنك تهين الرجل..

عبد العلـــي : اسمعي يا صليحة.. إن من عادة المسؤولين الكبار ـ دائماً وأبداً ـ وعندما يريدون لحجابهم وبوابيهم وشواشهم أن يتفقهوا في فقه الكذب، وأن يتعلموا علوم الكذب والتضليل، هل تعرفين ماذا يفعلون؟

صليحـــــة : ماذا يفعلون؟

عبد العلـــي : يبعثون بهم ـ على وجه السرعة القصوى ـ إلى الحج.. (يضحكون جميعهم إلا صليحة التي تبدو محرجة)

البـــــواب : ها.. ها.. زوجك هذا عفريت ابن عفريت..

عبد العلـــي : أنا مثلاً، لو أراد الله وجئتني إلى عملي، لكنت أكرمتك الكرم الكبير، ولكنت استقبلتك استقبالاً حسناً..

البـــــواب : وما هو عملك يا سيدي؟

سلطـــــان : يا أبي لا تفضحنا، ودعنا في المهم، لقد جئنا من أجل السيد الوزير، فلا تنس هذا..

البـــــواب : والسيد الوزير ليس هنا.. (يدخل الخادم الثاني)

الخـــادم 2 : ماذا تقول يا عمي الحاج؟ السيد الوزير..

عبد العلـــي : ألم أقل لك يا صليحة؟

الخـــادم 2 : .. وصل منذ اللحظة.. اللحظة فقط، وهو الآن في الطريق إلى مكتبه في الطابق الأعلى.. تريدون مقابلته بلا شك؟ إذاً

اتبعوني.. سآخذكم إليه..

عبد العلـــي : أكرمك الله يا ولدي.. (يخرون جميعهم.. يبقى البواب وحده)

البـــــــواب : هذا الولد لا يعرف كيف يشتغل، وفي الموسم القادم سأرشحه ليذهب إلى الحج..

(يخرج.. ظلام تام)

15 - كل هذه الكتب في بيتي أنا؟

(يضاء مكتب الوزير، نرى زوجته مدام مونيكا وحدها وهي تتسلق سلماً يقف على ساقين.. تشتغل بتصفح الكتب وترتيبها وهي تدندن.. يدخل الوزير رابح)

الوزيـــــــر : آه. الكونتيسة هنا؟ يا صباح الأنوار المشرقة..

المـــــــدام : من؟ أهذا أنت يا عزيزي؟

الوزيـــــــر : نعم، هذا أنا، وقد عدت إليك يسبقني الشوق إليك..

المـــــــدام : والرحلة.. كيف كانت يا عزيزي؟

الوزيـــــــر : آه.. متعبة قليلاً، ولكنها مفيدة ومربحة.. مربحة جداً جداً.. انزلي يا مونيكا.. انزلي وإلا..

المـــــــدام : وإلا ماذا؟

الوزيـــــــر : وإلا صعدت إليك..

المـــــــدام : اصعد إن كنت تقدر.. (يصعد إليها)

الوزيـــــــر : تعالي هنا.. تعالي يا ابنة الجنية..

المـــــــدام : اصعد أنت يا.. روميو.. (تضحك)

الوزيـــــــر : يا بنت الرومية انزلي.. إنني وزير.. هل نسيت هذا؟

المـــــــدام : أبدا، أنت وزير، وأنا زوجة السيد الوزير..

الوزيـــــــر : إنه لا يصح أن (أتشعبط) على السلالم.. قد يرانا أحد من الخدم وتكون الفضيحة.. (وهو ينظر حوله)

المـــــــدام : اسمع يا روميو.. إنني أحذرك..

الوزيـــــــر : تحذرينني.. ممن يا مونيكا؟

المـــــــدام : ممن؟ مني أنا، ففي جسمي منطقة ملغومة، إذاً لا تحاول أن تلمسني يا عزيزي..

الوزيـــــــر : ها.. ها.. أما أنا يا بنت الرومية، فكل المناطق في جسمي ملغومة.. ملغومة والحمد لله.. جربي وسوف ترين.. جربي..

المـــــــدام : ابتعد عني.. ابتعد.. سيرانا الخدم .. سيرانا الخدم..

الوزيـــــــر : إنني أحبك يا بنت الرومية.. أحبك.. أحبك.. (بأعلى صوته)

المـــــــدام : هس.. ليس هنا.. نحن بين الناس يا عزيزي..

الوزيـــــــر : آه، الناس.. وأين هم الناس؟ (يلتفت حوله)

المـــــــدام : عيون الكتب والكتاب تحاصرنا من كل الجهات، ألا تراها يا عزيزي؟

الوزيـــــــر : أين هي؟ إنني لا أرى أحداً سواك، أنت كل الناس وكل الناس أنت.. اسمعي هذا النشيد يا مونيكا .. إنني أحبك..

المـــــــدام : أعرف.. (وهي تضحك في دلال)

الوزيـــــــر : وقد كان المرحوم أبي يقول دائماً: حب النسوان من الإيمان..

المـــــــدام : (تضحك) يا مزيف.. أبوك لم يقل هذا، بل قال كلاماً آخر..

الوزيـــــــر : نعم، وماذا قال أبي؟

المـــــــدام : قال: حب الأوطان من الإيمان.. (تعود إلى الكتب) دعني أكمل ترتيب الكتب، إن مكتبة السيد الوزير لابد أن تكون في مستوى الوزير، هل فهمت يا عزيزي؟

الوزيـــــــر : (يتأمل الكتب وهو يهرش رأسه مثل طفل كسول) والله حرام عليك يا مونيكا، أكل هذه الكتب في بيتي أنا؟

المـــــــدام : نعم، كل هذه الكتب، وغداً سوف أضيف لها غيرها..

الوزيـــــــر : يا ويلي.. ولماذا؟ لماذا يا بنت الرومية؟

المـــــــدام : لماذا؟ يجب أن يعرف الناس- كل الناس يا عزيزي- أنك مثقف كبير وخطير..

الوزيـــــــر : أنا مثقف؟

المـــــــدام : إن المظاهر هي كل شيء.. ألا تعرف هذا يا عزيزي؟

الوزيـــــــر : ولا أعرف شيئاً أحسن من هذا.. إن الكتب تعقدني يا مونيكا.. إنني أظن أنه لا أحد يقرأها إلا المغفلون الذين كتبوها..

المـــــــدام : يا عزيزي، أنا لا أوصيك بقراءة هذه الكتب، لأن المهم هو أن تعرفها.. تعرفها فقط.. وتحفظ عناوينها إذا أمكن..

الوزيـــــــر : آه، هذا فقط؟

المـــــــدام : نعم، وأظن هذا ليس شيئاً صعباً.. هل تعرف يا عزيزي لماذا كتب الكاتب كتابه؟

الوزيـــــــر : بالطبع أعرف، من أجل أن يعلمنا شيئاً ، أليس كذلك؟

المـــــــدام : أبداً، بل من أجل أن يقول لنا إنه يعرف شيئاً، ونحن - من

جهتنا ـ نقرأ كتابه، لنقول للناس إننا نعرف ما يعرفه، هذا كل ما في الأمر والسلام..

الوزيـــــــر : أولاد الذين..

المـــــــدام : لقد اهتدى الكتاب إلى حيلة من الحيل.. حيلة جهنمية وخطيرة، ولقد رأوا أن أحسن طريقة لأن يتكلم الإنسان، من غر أن يعارضه أو يقاطعه أحد، هو أن يكتب.. يكتب وحده ما يشاء وكما يشاء..

الوزيـــــــر : أولاد الذين..

المـــــــدام : وفي رأيي يا عزيزي أن أخطر كل هؤلاء الكتاب هم المؤرخون، هل تعرف لماذا؟

الوزيـــــــر : لماذا؟

المـــــــدام : لأنهم يكتبون عن الموتى، والموتى ـ كما في علمك ـ لا يمكنهم تكذيب شيء أو الاعتراض على شيء..

الوزيـــــــر : لا.. هذه المرة أخطأت يا بنت الرومية..

المـــــــدام : كيف أخطأت؟

الوزيـــــــر : إن أحسن طريقة لأن يتكلم المتكلم، من غير أن يعترض عليه أحد، هي أن يصبح وزيراً، هل فهمت؟

المـــــــدام : نعم فهمت، ولأجل هذا فقد اجتهدت حتى أصبحت وزيراً..

الوزيـــــــر : ولأجل هذا جعلت منك وزيرة الوزير، وجعلت منك مالكة قلبه ومالكة جيبه أيضاً.. (يضحكان)

المـــــــدام : لقد تحسنت مواهبك كثيراً يا عزيزي.. لقد أصبحت تجيد الكلام..

الوزيـــــــر : وكل هذا بفضل الوزارة علي.. إنني أعجب لكل الذين يضيعون عمرهم في القراءة.. ماذا يريدون يا مونيكا، وعن أي شيء يبحثون..

المـــــــدام : يقولون إنهم يبحثون عن الحقيقة يا عزيزي..

الوزيـــــــر : آه.. وما أفظع الحقيقة.. إنني أخافها يا بنت الرومية، ولا أجرؤ أن أقترب منها..

المـــــــدام : (تضحك) أعرفك يا ملعون .. (تضحك)

الوزيـــــــر : ويمنعني الحياء أن أنظر إليها وهي كما هي.

المـــــــدام : الحياء .. وما دخل الحياء يا عزيزي؟
الوزيـــــــر : ما دخله؟ ألا تعرفين يا مونيكا أن الحقيقة الحقيقية لا تكون إلا عارية؟ .
المـــــــدام : رابح.. ماذا تريد أن تقول؟
الوزيـــــــر : أريد أن أقول إن حيائي يمنعني من الاقتراب منها، أولاً لأنها حرمة من الحريم..
المـــــــدام : وثانياً ؟
الوزيـــــــر : وثانياً لأنها دائماً عارية وحافية..
المـــــــدام : أيها الملعون، الآن فقط تأكدت بأنك أصبحت حقاً وزيراً..
الوزيـــــــر : الحمد لله.. إن الحقيقة عورة يا مدام، ومن الواجب ستر العورات..
المـــــــدام : (تضحك) حقاً لقد أصبحت ديماغوجياً خطيراً يا رابح..
الوزيـــــــر : تلك كل بضاعتي يا بنت الرومية، وبها أصبحت وزيراً.. بها وحدها ولا شيء غيرها.. (يضحكان)
المـــــــدام : هناك كتابان اثنان لابد لك من قراءتهما يا عزيزي.. (وهي تسحب من المكتبة كتابين)
الوزيـــــــر : كتابان؟ ومن أين تأتيني القدرة على القراءة؟
المـــــــدام : أما الكتاب الأول فهو هذا، وعنوانه هو(كيف تصبح وزيراً في سبعة أيام)
الوزيـــــــر : سبعة أيام؟ وأنا الذي أصبحت وزيراً في ثلاثين سنة.. هذا الكتاب لم يعد الآن صالحاً، فإلي بالكتاب الثاني..
المـــــــدام : الكتاب الثاني هو هذا.. خذ.. (تعطيه الكتاب)
الوزيـــــــر : اقرأي لي عنوانه .. ليس معي نظاراتي..
المـــــــدام : عنوانه يا عزيزي هو (مواصفات المواطن الصالح)
الوزيـــــــر : حتى هذا الكتاب لا ينفعني، لأنه ليس موجهاً لي، وعليه، فلا فائدة من قراءته، ثم أيضاً، ما معنى المواطن؟ إني لا أفهم هذه الكلمة الفارغة..
المـــــــدام : (تفتح الكتاب وتقرأ) اسمع ما يقول المؤلف: إن المواطن هو الشخص الذي يعامل معاملة العبيد، والذي يعطي الإحساس بأنه سيد من الأسياد..

الوزيـــــــــر : أنا من كل هذه المكتبة لا يعجبني إلا هذا الجناح..

المـــــــــدام : وماذا فيه هذا الجناح يا عزيزي؟

الوزيـــــــــر : فيه كتب سائلة وغير مسؤولة.. (يفتح باباً صغيراً رسمت عليه كتب، لنجد أننا أمام زجاجات وكؤوس)

المـــــــــدام : ما ذا يا عزيزي.. بار في المكتبة؟

الوزيـــــــــر : هذه بلاد الحرية يا عزيزتي، وكل واحد حر في أن يقرأ ما يشاء.. (يسمع طرق على الباب)

الوزيـــــــــر : من يطرق الباب؟

البـــــــــواب : هذا أنا يا معالي الوزير، الحاج البواب..

الوزيـــــــــر : البواب؟ هذا رجل يمكن أن نقول عنه مواطن، أليس كذلك يا عزيزتي؟

المـــــــــدام : وهو كذلك يا عزيزي..

الوزيـــــــــر : تفضل.. ادخل يا عمي الحاج.. هيا أيها المواطن ادخل.. (يدخل البواب)

16 - حضور امرأة اسمها.. الماضي..

البـــــواب : معالي الوزير، بالصالون امرأة تريد مقابلة سيادتكم..

المـــــدام : امرأة؟

البـــــواب : امرأة عجوز يا مدام..

المـــــدام : آه..

البـــــواب : تقول إنها مربية سيادتكم، وإن اسمها صليحة.

الوزيـــــر : يا ويلي.. تلك المـرأة مازالت حية، هذا تهاون كبير..

المـــــدام : تهاون.. تهاون ممن يا عزيزي؟

الوزيـــــر : ممن؟ من ملك الموت.. هذه المرأة مصيبة يا مونيكا، لا، بل هي كارثة.. كارثة عظمى..

المـــــدام : ماذا تقول يا عزيزي؟

البـــــواب : هل أدخلهم يا سيدي؟

الوزيـــــر : تدخلهم؟ هي ومن معها؟

البـــــواب : معها زوجها وولدها يا سيدي..

الوزيـــــر : تبارك الله.. لا تدخلهم الآن .. انتظر قليلاً.. يمكنك أن تذهب أنت الآن، وبعد قليل سأنادي عليك.. اعطهم شيئاً، كأس شاي أو فنجان قهوة، ودعهم ينتظرون، هل سمعت؟

الوزيـــــر : سمعت يا سيدي الوزير.. (يخرج)

المـــــدام : ما هذا؟ إنني أراك مضطرباً، فماذا بك يا عزيزي؟

الوزيـــــر : أنا ؟ أبداً. لست مضطرباً..

المـــــدام : ثم قل لي، من تكون هذه المـرأة .. إنني لا أعرف لك مربية غيري..

الوزيـــــر : إنها.. إنها مدرستي يا عزيزتي، وهي امرأة مريضة ومعقدة.. مريضة بمرض خطير، وأتمنى أن تكون قد شفيت..

المـــــدام : (مذعورة) مريضة؟ امرأة مريضة في بيتي أنا؟ لا..

الوزيـــــر : اطمئني .. اطمئني يا مونيكا، هي مريضة النفس والعقل والبصيرة..

المـــــدام : لم أفهم يا عزيزي..

الوزيـــــر : مريضة بالأخلاق لحد الانغلاق والاختناق، ومريضة بالشرف

لحد القرف والتلف..

المـــــــدام : آه.. الآن فقط فهمت..

الوزيــــــــر : إنني أتساءل يا مونيكا، هذه المدرسة العجوز ماذا تريد مني؟

المـــــــدام : ماذا تريد؟ تريد شيئاً من المال..

الوزيــــــــر : يا إلهي.. إنني لا أسمع صوتها إلا وأرتجف، إنها امرأة غريبة يا مونيكا.. سليطة اللسان ومغرورة بعلمها الذي لا ينفع.. هكذا كانت قديماً، ولست أدري هل مازالت كذلك..

المـــــــدام : لا أظن يا عزيزي، فالعمر له أحكامه..

الوزيــــــــر : من كل الكلمات يا عزيزتي لا تعرف إلا كلمة واحدة..

المـــــــدام : كلمة واحدة؟

الوزيــــــــر : نعم، وهذه الكلمة هي الاستقامة ثم الاستقامة، وبعدها الاستقامة، ولا شيء إلا الاستقامة..

المـــــــدام : الاستقامة؟ (تضحك) وأنت يا عزيزي، كيف يمكن أن تصل إليها، وبينك وبينها مليون سنة ضوئية.. (يضحكان)

الوزيــــــــر : هذه المرأة الغريبة يا عزيزتي تنتمي لفصيلة بشرية قديمة جداً، فصيلة هي الآن في طريق الانقراض التام..

المـــــــدام : آه، كم أنا مشتاقة لأن أراها.. أرجوك يا عزيزي، قل لها أن تدخل، أريد أن أتفرج عليها.. أتفرج وأضحك.. (تضحك)

الوزيــــــــر : تتفرجين؟ إنني لا أعدك بشيء يا عزيزتي، هي امرأة صعبة وشرسة..

المـــــــدام : صعبة أو غير صعبة، كل ذلك كان قديماً، في شبابها ربما، أما الآن فلابد أنها قد تغيرت، وسوف ترى ذلك..

الوزيــــــــر : هي تتغير.. أتظنين ذلك يا عزيزتي؟

المـــــــدام : هل أظن؟ إنني متيقنة يا عزيزي الوزير، متيقنة قلت لك.. أنت لم تعد ذلك الطفل المشاغب، وهي لم تعد تلك المرأة الصعبة القوية، هي اليوم امرأة متقاعدة، وأنت اليوم وزير، لا تنس هذا..

الوزيــــــــر : حقاً، أنا اليوم وزير، وينبغي أن أقنع نفسي بهذا..

المـــــــدام : من مصلحة هذه المرأة العجوز أن تطلب ودك..

الوزيــــــــر : من مصلحتها؟ ها.. ها.. ومتى كانت هذه المرأة المصيبة

تعرف مصلحتها؟ إنها كائن انتحاري يا عزيزتي..

المــــــدام : لا .. لا .. إنك تبالغ بلا شك..

الوزيـــــر : شعارها في الحياة: علي وعلى كل أمة محمد..

المــــــدام : يصعب علي أن أصدق هذا..

الوزيـــــر : صدقيه يا بنت الرومية.. صدقيه ولن تخسري شيئاً.. إن من كل الحالات التي أعرف أنا، وتعرفين أنت، فإن هذه المرأة لا تعرف إلا حالة واحدة، وهي حالة الغضب..

المــــــدام : الغضب على التلاميذ، هذا من حقها..

الوزيـــــر : ليس على التلاميذ فقط، بل وأيضاً، على الإدارة والإداريين، وعلى المدرسة والمدرسين، وعلى السياسة والسياسيين، وعلى الناس أجمعين.. لقد كان شعارها دائماً هو: كل شيء أو لا شيء.. الاستقامة ثم الاستقامة أو فلتحيا القيامة..

المــــــدام : ولكن أنت.. أنت لست عدوها يا عزيزي، أنت تلميذها القديم، ولا شك أنها الآن فخورة بك..

الوزيـــــر : أتظنين الأمر كذلك يا عزيزتي؟

المــــــدام : وهو فعلاً كذلك.. صدقني..

الوزيـــــر : آه، ليتها يا ربي ترضى عني أخيراً، وتراني بعين أخرى.. تصوري، لقد كنت في عينها دائماً التلميذ الغشاش والكسول والمزور والمتخلف..

المــــــدام : كان ذلك قديماً يا عزيزي، ولاشك أنها قد راجعت نفسها، ولاشك أنها الآن نادمة على كل شيء، ولا شك أنها جاءت لتطلب الصلح والصفح..

الوزيـــــر : صليحة تطلب الصلح والصفح؟ لا أستطيع أن أتصور هذا..

المــــــدام : لا تنس أنك اليوم وزير، وأن هناك من يريد خدماتك، ولاشك أن هذه المرأة قد جاءتك في أمر يخصها.. في تقاعدها ومعاشها مثلاً، أو في شأن زوجها أو ولدها، من يدري؟ المهم أنها الآن في بيتك، وتستطيع أن تفعل بها ما تشاء..

الوزيـــــر : سأنتقم في شخصها من كل أيامي الماضية.. لقد كانت تنعتني دائماً بأقذع النعوت، فأنا مرة بغل، ومرة أخرى حمار أو ضبع أو خنزير.. تصوري يا عزيزتي، أنا خنزير..

المـــــــدام : أنت فعلاً خنزير، ولكنك خنزير جميل ولطيف.. (تضحك)

الوزيـــــــر : شكراً، فما دمنا نأكله فلماذا نحتقره..

المـــــــدام : تعجبني نباهتك يا عزيزي الخنزير.. (يضحكان)

الوزيـــــــر : هل تتصوري.. أنها لا تكاد تراني حتى تصفعني بشدة.. (وهو يحك خده)

المـــــــدام : (تضحك) تستأهل يا عزيزي..

الوزيـــــــر : (لنفسه) ينبغي ألا أقترب منها كثيراً.. من يدري. إن الطبع يغلب على التطبع، هكذا كانت تقول لنا دائماً.. كما ينبغي أن أراقب يدها اليمنى جيداً، فقد تفاجئني بصفعة من العيار الثقيل..

المـــــــدام : ماذا تقول يا عزيزي؟

الوزيـــــــر : أنا؟ إنني لا أقول شيئاً، ثم إنني - كما ترين - بألف خير..

المـــــــدام : رابح، تماسك وكن رجلاً و..

الوزيـــــــر : طلي عليها يا مونيكا.. طلي من وراء الستار وأخبريني، أريد أن أعرف ماذا تفعل الآن..

المـــــــدام : (وهي تطل) إنها جالسة يا عزيزي..

الوزيـــــــر : الحمد لله..

المـــــــدام : ولكنها جالسة في عصبية ظاهرة..

الوزيـــــــر : أعوذ بالله، كنت أعرف هذا.. ويدها.. ماذا في يدها يا عزيزتي؟

المـــــــدام : ماذا تقصد يا رابح؟

الوزيـــــــر : أقصد، أليس في يدها مسطرة.. مسطرة حديدية غليظة؟

المـــــــدام : ماذا تخرف؟ هي اليوم لم تعد مدرسة يا عزيزي..

الوزيـــــــر : طمأنت قلبي.. دقي الجرس من فضلك .. (تدق الجرس) هل تعرفين ماذا كنا نسمي هذه المرأة في المدرسة؟ كنا نسميها (الحراقية)

البـــــــواب : (يدخل) نعم سيدي الوزير..

الوزيـــــــر : أدخل السيدة صليحة ومن معها..

البـــــــواب : حاضر سيدي .. (يخرج)

الوزيـــــــر : لقد كانت كتلة ملتهبة من الأعصاب، ولا شيء فيها إلا الأعصاب.. تثور على كل شيء ، ولا يعجبها أي شيء.. يعلم الله كيف كان مصير هذه البلاد سيكون لو أن رجلاً ـ مثل هذه المدرسة ـ هو الذي كان يحكمها.. لأستعد.. إنها قادمة.

(تدخل صليحة يتبعها زوجهاعبد العلي ولدها سلطان)

17 - من ينعم بالذكرى ومن يشقى بها..

(يفتعل الوزير البحث عن شيء في المكتب، وذلك حتى لا تقع عينه في عين صليحة)

الوزيـــــــــر : غريب.. أين اختفى ذك ال..؟

المـــــــــدام : ذلك ال.. ماذا؟

الوزيـــــــــر : لست أدري.. ابحثي معي يا عزيزتي.. أظنني وضعته هنا، أو هنا، أو ربما هنا..

المـــــــــدام : أستسمحك سيدي.. (لعبد العلي) يمكنك أن تنتظر قليلاً..

الوزيـــــــــر : عجبا .. إنني .. من .. (وكأنه انتبه لوجودهم فجأة) من يكون هؤلاء يا مونيكا؟ آه.. تذكرت. أنت هي هي.. عرفت.. تفضلوا، أهلاً وسهلاً، قولي لهم يا عزيزتي أن يجلسوا..

عبد العلـــي : لقد جلسنا يا ولدي..

الوزيـــــــــر : آه رائع.. رائع جداً..

عبد العلـــي : سلم على عمك الوزير يا سلطان، ماذا تنتظر؟

سلطـــــــــان : عمي الوزير، بالأحضان يا عمي.. اشتقت إليك فعلمني ألا أشتاق.. (يقولها غناء)

الوزيـــــــــر : كسرت ضلوعي يا رأس الغول..

سلطـــــــــان : سبحان الله، حتى الوالد يقول لي رأس الغول..

عبد العلـــي : وسلم على زوجته أيضاً.. هيا .. تحرك..

سلطـــــــــان : زوجة عمي، ما أجملها يا عمي.. (يهجم عليها ليحضنها)

الوزيـــــــــر : قف.. قف حيث أنت ولا تتحرك..

سلطـــــــــان : لا أقدر ، وحق الله لا أقدر.. اشتقت إليك فعلميني ألا أشتاق.. (يغني)

الوزيـــــــــر : أستسمحكم أيها السادة، أعطوني دقيقتين صغيرتين ثم أتفرغ لكم.. إن مشاغلي ـ كما ترون ـ كبيرة وخطيرة جداً..

عبد العلـــي : نعم.. نعم.. هي خطيرة جداً، ومن قال عكس فهذا فهو إما أعور أو أعمى..

الوزيـــــــــر : (للمدام على انفراد) أعور أو أعمى.. بدأ الغمز يا مونيكا..

المـــــدام : لا .. لا .. يخيل إليك فقط يا عزيزي..

الوزيـــــر : (لضيوفه) حياتي العامة أكلت حياتي الخاصة، وكل وقتي اليوم مصادر.. وقتي ليس وقتي..

عبد العلـــي : كان الله في عونك..

الوزيـــــر : إنني لا أجد الوقت حتى لأحك رأسي..

سلطـــــان : الأمر بسيط يا عمي الوزير، أنا أحك لك رأسك..

الوزيـــــر : م.. اذا؟

سلطـــــان : ألحقني بالخدمة عندك، وسوف ترى مني العجب العجاب..

الوزيـــــر : ألحقك بالخدمة عندي؟ وماذا سوف تشتغل إن شاء الله؟

سلطـــــان : سأشتغل يا عمي الوزير حكاكاً متفرغاً لرأسك.. ها .. ها..

صليحـــــة : سلطان.. ما هذا الكلام الذي تقول؟

سلطـــــان : أشتغل معك، وأساعدك على قضاء كل شيء.. وأعطيك نصيباً مهما من وقتي ومن عنايتي ومن اهتمامي..

الوزيـــــر : ما شاء الله، هذا الولد العظيم لا يمكن أن يكون إلا ولد هذه السيدة العظيمة..

عبد العلـــي : وكيف عرفت هذا يا معالي الوزير؟

الوزيـــــر : كيف عرفت؟ من وقاحته الجميلة.. إنه يشبه السيدة أمه، ليس الآن طبعاً، ولكن كما كانت قديماً.. كانت قوية وعنيفة.. آه ما أغرب هذه الدنيا، ففي الناس من ينعم بالذكرى، وفيهم من يشقى بها.. آه وآه، سامح لله بعض الناس، هذا كل ما يمكن أن أقوله اليوم، وغفر الله لنا ولهم وللسامعين أيضاً..

عبد العلـــي : نعود إلى سلطان.. هذا هو اسمه، وهو ولدنا الوحيد يا معالي الوزير..

الوزيـــــر : تبارك الله، لقد أصبح رجلاً..

سلطـــــان : وهذه المرأة ، أنا ولدها الوحيد، وهي أمي الوحيدة، ها.. ها.. (تنظر إليه أمه نظرة تأنيب) لا تغضبي يا أمي، فأنا لم أنس أبي.. وهذا الرجل الشيخ هو أبي .. أبي الوحيد.. ها.. ها..

الوزيـــــر : عفواً، لقد نسيت أن أسألكم ماذا تشربون.. قهوة، شاي، عصير؟

المـــــدام : لقد اعتذروا يا عزيزي الوزير..

سلطـــــــان : أما أنا فلم أعتذر، وحق الله لم أعتذر..

الوزيـــــــر : إذن دعيهم على راحتهم ولا تلزميهم بشيء.. إنهم ضيوفي الأعزاء..

سلطـــــــان : ولكن أنا أريد أن أشرب شيئاً..

عبد العلـــي : (على انفراد) أسكت.. لقد فضحتنا يا رأس الغول..

الوزيـــــــر : مرة أخرى سأطلب منكم طلبا بليداً.. أعطوني دقيقة أخرى.. دقيقة صغيرة وأتفرغ لكم.. أستسمحكم .. (يعود للبحث عن شيء لا وجود له)

سلطـــــــان : ولماذا دقيقة واحدة؟ خذ دقيقتين كبيرتين جداً يا عمي الوزير، بل وخذ كل الدقائق المتبقية من هذا اليوم..

عبد العلـــي : (يهمس لصليحة) هذه المـرأة زوجة الوزير..

صليحــــــة : ماذا بها؟

عبد العلـــي : إنني أعرفها، وحق الله أعرفها جيداً..

صليحــــــة : ماذا تقول ياعبد العلي ؟

عبد العلـــي : لقد سبق ورأيتها من قبل، ولكن أين؟ أين يا ربي، أين؟

سلطـــــــان : يا أيها الوالد المبجل، قد تكون رأيتها فعلاً.. رأيتها في أي مكان، إلا في مكان واحد..

عبد العلـــي : وما هذا المكان الواحد يا سلطان؟

سلطـــــــان : إنه الثلاجة.. ثلاجتك الكبرى يا أبي.. إن هذه المـرأة مازالت بألف خير، انظر إليها جيداً، إنها أكثر حياة منك ومني، ولا أظن أبداً أنها قد فكرت يوماً في الموت، ولماذا تفكر فيه، وأمامها كل هذا النعيم؟

الوزيـــــــر : (وقد رآهم ينظرون إلى زوجته) إنها زوجتي، واسمها مونيكا، وهي فعلاً مونيكا، يعني دمية جميلة..

عبد العلـــي : تشرفنا يا مدام..

الوزيـــــــر : إنها مغرمة بي غراماً شديداً..

سلطـــــــان : ما أسعدك بها يا عمي الوزير..

الوزيـــــــر : إنها تعشقني حتى الجنون المرعب..

عبد العلـــي : (لنفسه) حتى الجنون؟ لا أظن..

الوزيـــــــر : هي مواطنة مثلي ومثلكم، لقد ولدت في هذا البلد، وعاشت

فيه، وأحبته كثيراً كثيراً..

سلطـــــان : أحبته إلى حد الجنون.. الجنون المرعب يا عمي الوزير..

الوزيـــــر : تماماً.. تماماً يا ولدي..

سلطـــــان : بونجور مدام مونيكا..

المـــــدام : بونجور..

الوزيـــــر : لقد كانت جارتنا.. تعرفينها بلا شك يا مدام صليحة.. أليس كذلك؟

صليحـــــة : أستسمحك.. إنني لا أتذكرها، ذاكرتي لم تعد كما كانت..

عبد العلـــي : أما أنا فأتذكرها .. وأتذكر كل شيء وكأنه وقع بالأمس.. أبوها كان ضابطاً في البوليس..

الوزيـــــر : تماماً، وهو رجل شهم ولطيف..

عبد العلـــي : حقاً.. هو لطيف جداً.. أما اسمه فهو .. هو المسيو فليبس..

المـــــدام : (تضحك) لا .. اسمه المسيو فليكس..

الوزيـــــر : هل سمعت؟ إنه يعرف السيد الوالد يا عزيزتي..

عبد العلـــي : آه، وكيف لا أعرفه وآثاره مازالت على جسمي.. لقد كان يحبنا حباً كبيراً يا مدام.. يحبنا لحد.. لحد ماذا يا سلطان؟

سلطـــــان : لحد الجنون المرعب يا أبي..

عبد العلـــي : وكل هذا لماذا؟ لأنني هتفت يوماً مع الناس وقلت ليحيا الوطن..

الوزيـــــر : رجاء، ذلك الماضي لا تذكرنا به، لقد مات وانتهى..

عبد العلـــي : (لنفسه) وليته مات وانتهى حقاً..

الوزيـــــر : اليوم عهد آخر وعصر آخر يا عمي..

عبد العلـــي : هل رأيت يا مدام؟ هتافي لم يكن بلا معنى، لقد عاش الوطن، وعشت أنت أيضاً.. عشت كما كنت، أو أحسن مما كنت..

الوزيـــــر : لا.. لا .. هذا الذي تقول ليس صحيحاً، ولا شك أن في الأمر سوء تفاهم.. سوء تفاهم كبير جداً، إنك تتحدث عن مسيو فليكس الآخر.. هناك دائماً شخص آخر.. شخص هو الغائب في كل الأحوال.. غائب ومجهول، أما صهري أنا، فهو نبتة طيبة induced ووالد عائلة كريمة، رحمه الله وأسكنه فسيح الجنان آمين يا رب العالمين.. (يسمع طرق على الباب)

الوزيـــــــــر : تفضل.. (يدخل الخادم الثالث وهو في زي طباخ هذه المرة)

الخـــــادم 3 : هل تسمح المدام، إنني أريد أن أستشيرك في أمر هام..

الوزيـــــــــر : تفضلي معه يا عزيزتي، ودعيني مع ضيوفي.. الأعزاء..

(يخرجان، تنتقل الإضاءة إلى الجانب الآخر، بينما يبقى المكتب غارقاً في الظلام)

18 - والضيوف ليسوا ضيوفاً..

الخـــادم 3 : معذرة يا مدام، كان يمكن ألا أعود إليك، وأن أفعل ما أفعل كل يوم، ولكنني فكرت..

المــــــدام : عجباً.. أنت فكرت؟

الخـــادم 3 : فكرت مع نفسي وقلت لا ، إن هذا اليوم ،يا أنا، لا يشبه كل الأيام.. هذا يوم آخر..

المــــــدام : نعم، وماذا تريد مني الآن؟ قل بسرعة..

الخـــادم 3 : إني فقط أريد أن أسأل: ماذا تشتهي سيدتي أن أطبخ لها هذا اليوم؟

المــــــدام : هذا كل شيء؟

الخـــادم 3 : نعم، هذا كل شيء يا مدام..

المــــــدام : اطبخ ما شئت، اطبخ زفتاً، اطبخ سماً، اطبخ حجراً، اطبخ أي شيء.. هل فهمت؟

الخـــادم 3 : يا مدام، إنه لا يصح فأنا فكرت وقلت..

المــــــدام : مرة أخرى فكرت؟

الخـــادم 3 : .. بأن هذا اليوم لابد له من طبخ خاص..

المــــــدام : لا جديد في هذا البيت، وهذا اليوم مثل كل الأيام الأخرى..

الخـــادم 3 : والضيوف الكرام يا مدام؟

المــــــدام : هؤلاء ليسوا ضيوفاً.. سيمكثون دقيقتين، ويقولون كلمتين، ثم من بعد مع السلامة..

الخـــادم 3 : أنا يا مدام سمعت غير هذا، ولهذا فقد فكرت..

المــــــدام : وماذا سمعت أيها المفكر العظيم؟

الخـــادم 3 : سمعت بأن السيدة المدرسة هي مربية السيد الوزير..

المــــــدام : ما سمعته خطأ، لأن مربية السيد الوزير هي أنا.. نعم، أنا مربيته ومدرسته، وأنا أمه ووطنه، هل فهمت؟

الخـــادم 3 : جزء من عقلي يقول لي فهمت، وجزء آخر يقول إنني لم أفهم..

المــــــدام : يمكنك الآن أن تنصرف..اذهب إلى مطبخك، ولا تشغل نفسك إلا بقدورك..

الخـــادم 3 : سؤال آخر يا مدام، وأعدك بأن يكون الأخير إن شاء الله.. (لنفسه) تقريباً..

المــــــدام : تفضل، قل ما لديك..

الخـــادم 3 : هل بإمكاني أن أغير هذه الملابس يا مدام؟

المــــــدام : تغيرها؟ وما المناسبة؟

الخـــادم 3 : (لنفسه) سبحان الله، أصبحت هي التي تسأل.. (للمدام) المناسبة هي وجود الضيوف بالبيت .. ألا تفكرين معي، بأنه علي أن أرتدي لباس السائق؟

المــــــدام : ابتعد عني .. ابتعد أيها المغفل..

الخـــادم 3 : لم أكمل كلامي بعد يا مدام.. إنني أفكر في أن أخرج السيارة من الكاراج، من أجل أن أوصل السيدة المدرسة ومعها زوجها وولدها إلى بيتهم..

المــــــدام : السيدة المدرسة تعرف بيتها، وستعود إليه وحدها، هل فهمت؟

الخـــادم 3 : هل فهمت؟ جزء من عقلي يقول لي فهمت، وجزء آخر يقول إنني لم أفهم..

المــــــدام : انصرف من أمامي.. قلت لك انصرف، وإلا استدعيت لك قوات التدخل السريع.. لقد دمرت أعصابي أيها الغبي..

الخـــادم 3 : سلمت أعصابك يا مدام.. إنني ذاهب إلى المطبخ ..

المــــــدام : اذهب.. لا ردك الله .. (يخرج وهو يتمتم بكلام غير مسموع)

المــــــدام : (تنادي) حياة .. حياة .. أين أنت؟

حيـــــــاة : (تدخل) إنني هنا يا مدام.. دائماً قريبة منك يا مدام..

المــــــدام : آه.. كنت تتصنتين علي أيتها الجنية.. اعترفي..

حيـــــــاة : أنا ؟ أبدا يا مدام .. إنني فقط كنت .. كنت..

المــــــدام : اسمعي وافهمي جيداً ما سأقول لك، هل تعرفين لماذا طلبتك الآن؟

حيـــــــاة : لماذا؟ ربما لأنك اشتقت إلي، الحياة غالية وعزيزة، هكذا يقول الناس يا مدام..

المــــــدام : أنا أشتاق إليك ؟ اطمئني يا حياة، فهذا شيء لم يحصل يوماً..

حيـــــــــاة : خسارة ..خسارة كبرى يا مدام..

المـــــــدام : ولن يحصل في يوم من الأيام.. هل فهمت؟

حيـــــــــاة : نعم فهمت.. إذاً فقد اشتقت إلى كلبتك يا مدام.. تأمليها جيداً.. إنها تكلمك، ألا تسمعين؟

المـــــــدام : تكلمني؟

حيـــــــــاة : باللغة الكلبية يا مدام..

المـــــــدام : أو.. يكفي.. يكفي ثرثرة.. اذهبي الآن إلى الحمام.. هيا اذهبي.. وبسرعة..

حيـــــــــاة : يا مدام، لقد أخذت حصتي اليومية من حمام الصباح.. تماماً مثل كل صباح، وحق الله لقد..

المـــــــدام : يا أيتها الحمقاء، أنا لا أتكلم عنك أنت، ألا تفهمين؟

حيـــــــــاة : كيف لا أفهم يا مدام، أنت تتكلمين عن حبيبتنا الكلبة.. (لنفسها) ليت أني كنت أنا الكلبة، وكانت الكلبة أنا..

المـــــــدام : اسمعي يا حياة، انتبهي جيداً للعزيزة، وإياك أن يشغلك عنها شيء..

حيـــــــــاة : لا شيء يشغلني عنها يا مدام.. لا شيء إلا التفكير فيه..هل سيشتغل معنا يا مدام؟

المـــــــدام : يشتغل معكم؟ من تقصدين؟

حيـــــــــاة : الولد الوسيم يا مدام، ولد السيدة المدرسة.. والله أنا في حاجة لمن يربي معي عزيزتنا الكلبة.. إن وجود الرجل ضروري في التربية يا مدام، تماماً كما هي المرأة ضرورية، أو ربما أكثر قليلاً.. وحدي لا أقدر على شيء، هيبة الرجل لابد منها.

المـــــــدام : ماذا تقول هذه الحمقاء؟

حيـــــــــاة : يا مدام صدقيني، وحق الله هو ولد مهذب، ثم إنه مثلي يفهم في تربية الكلاب جيداً..

المـــــــدام : يكفي.. خذي لويزة وعودي بها إلى غرفتها، ولا تنسي الحمام..

حيـــــــــاة : إنني يا مدام..

المـــــــدام : لا تضيفي كلمة أخرى.. كل تفاهاتك استمعت إليها، اهتمي بشغلك وكفى.. بشغلك فقط، هل فهمت؟

حيـــــــــاة : نعم، فهمت.. (تخرج المدام)

حيـــــــــاة : (وحدها، تكلم الكلبة بنبرة حزينة) حياة.. ها ..أنا.. أنا حياة؟ حياة الحقيقية هي أنت يا لويزة، نعم أنت يا بنت الكلاب المحترمين، أما أنا.. آه، ما أنا إلا موت يحيا شبه حياة.. هذا هو الوزير، وهذه هي امرأته، وامرأته حمالة الماس والذهب، في جيدها حبل من مسد.. (يدخل الخادم 2 وقد سمع بعض حديث حياة لنفسها)

الخـــــادم 2 : يا ربي.. ما هذا الذي يحدث في البيت الآن، إنني أكاد أبصرها قادمة، أبصر كارثة بحجم كبير وخطير، بحجم حمق هذه الشابة..

حيـــــــــاة : الأحمق في هذا البيت هو أنت.. نعم أنت وحدك يا موسى.. (يدخل البواب)

البـــــــواب : أخبريني يا ابنتي، أما تزال تلك المرأة الغريبة مع السيد الوزير؟

حيـــــــــاة : مازالت معه..

البـــــــواب : الله الله ، ما أسعدها، سيكرمها الوزير كرماً عظيماً..

حيـــــــــاة : وكيف لا يكرمها، وهي معلمته ومربيته التي في منزلة أمه؟

البـــــــواب : يا رب السماء، كل في ما ملكوتك جميل ورائع، وأروع ما فيه الوفاء..

الخـــــادم 2 : ها..ها .. وأين هو الوفاء يا عمي الحاج؟ افتح عينيك جيداً، فهذه الدنيا لم تعد بخير..

البـــــــواب : أعوذ بالله أنتم شباب هذا اليوم لا ترون إلا السواد.. لا تقنعون بشيء، ولا ترضون بشيء، ولا تحسون بشيء.. (يدخل رئيس الخدم)

رئيس الخدم : آه.. ما أجمل هذا الجمع الطيب، هو مؤتمر خطير، أليس كذلك؟

الخـــــادم 2 : إنه يا خالي..

رئيس الخدم : لا تقل شيئاً، لقد عرفت كل شيء، وفهمت كل شيء، هو مؤتمر للنميمة والفضول والكلام الذي ليس له معنى..

الخـــــادم 2 : في هذه أخطأت يا خالي العزيز..

رئيس الخدم : أنا أخطأت؟ غير ممكن..

الخـــــادم 2 : وحق الله ممكن يا خالي، فكلامنا بالتأكيد له معنى، فهل تريد أن تسمعه؟

رئيس الخدم : لا .. كل ما أريده هو أن يعود كل واحد منكم إلى عمله. عودوا إلى العمل، ودعوا النميمة .. هيا .. تحركوا .. ماذا تنتظرون؟

(يخرجون جميعهم، تنتقل الإضاءة إلى مكتب الوزير)

19 - على طريق اسمها النجاح..

صليحـــــــة : (وهي تحاول أن تضحك) ماذا تقول يا رابح؟ كن منطقياً يا ولدي..

الوزيـــــــر : أنا دائماً مع المنطق يا سيدتي..

صليحـــــــة : أبداً، قد أصدق كل شيء إلا هذا..

الوزيـــــــر : وحق الله أنا معه.. (يضحك) ولكن فقط، عندما يكون معي، أما إذا كان ضدي، فمن المنطقي أن أكون ضده، وذلك ما يسمى بالمعاملة بالمثل، العين بالعين والسن بالسن والزيف بالزيف..

صليحـــــــة : يا رسول الله، ما أكثر الأوهام في كلام هذا الولد الكبير..

الوزيـــــــر : الأوهام؟ هل تعرفين يا سيدتي، بأن أخطر كل أفكارنا، هي تلك التي نسميها أوهاماً..

سلطـــــــان : أفكارك رائدة ومذهلة يا عمي الوزير..

صليحـــــــة : ماذا تخرف يا سلطان؟

سلطـــــــان : إنها أفكار هذا الوقت وأفكار هذه الساعة، ألف مرة قلت للسيدة أمي إن المفيد هو الذي يفيد، ولكنها لا تسمع قولي..

الوزيـــــــر : أمك يا ولدي.. (متردداً) ماذا أقول لك عنها؟ هي أمك وأنت تعرفها أحسن مني، ولكن مع ذلك، فلا بأس أن أقول لك بأنها غريبة الأطوار..

سلطـــــــان : نعم، هي غريبة الأطوار أحياناً يا عمي، ولكنها طيبة جداً..

الوزيـــــــر : أمك نسيت شيئاً مهماً في حياتها، وكان يمكنها أن تنسى كل شيء إلا هذا الشيء يا ولدي..

سلطـــــــان : ماذا نسيت يا عمي؟

الوزيـــــــر : نسيت أن تموت يا سلطان، فالموت شيء طبيعي جداً.. طبيعي كالولادة وكالنوم والرحيل، كان ينبغي أن تموت يوم ماتت أحلامها وأوهامها وخرافاتها التي تسميها أخلاقاً..

سلطـــــــان : يا عمي الوزير إنني..

الوزيـــــــر : يا سلطان، لا تقل شيئاً، يكفيك أن تسمع جيداً.. انظر إلي وحدي ودعك من كل الناس، أنا نموذج حي للنجاح والتطور

والمنطق، نعم، أنا وليس أمك..

سلطـــــــان : إنني معجب بك يا عمي، لأنك رجل واقعي ومنطقي..

الوزيـــــــر : يا سلطان، انظر حولك وقل لي، هل رأيت هذه المدن الحديثة الملونة والمضاءة؟

سلطـــــــان : نعم رأيتها يا عمي الوزير..

الوزيـــــــر : هذه المدن ما هي إلا غابات يا ولدي..

سلطـــــــان : هي غابات؟

الوزيـــــــر : نعم، هي غابات، وما فيها إلا الوحوش الضارية.. كلهم أعداء وأبناء أعداء وأحفاد أعداء يا ولدي سلطان..

سلطـــــــان : ولكن يا عمي، لنا في هذه المدن أهل وأحباب، ولنا فيها رفاق وأصدقاء..

الوزيـــــــر : الأصدقاء؟ ما أشد غباءك يا ولدي، حتى الأصدقاء أعداء أيضاً، ولكن، بيننا وبينهم هدنة، نعم، وقد تطول هذه الهدنة وقد تقصر.. كل واحد منا في هذا البحر يبحر وحده، يركب سفينته وحده، ويغالب الموج المتموج مع الأحوال والأهوال وحده، وسفينتي أنا صغيرة جداً، صغيرة وضيقة، وفي حال الصحو تنقل شخصين، أنا وزوجتي، أما في حال العاصفة، فإنها لا تحتمل إلا شخصاً واحداً، والذي هو أنا، أنا وحدي ومن بعدي الطوفان الأكبر، هكذا ينبغي أن تفكر أنت أيضاً، وبهذا ينبغي أن تقنع نفسك دائماً..

سلطـــــــان : يا إلهي، هذه الأفكار يا عمي، من أين تأتي بها؟

الوزيـــــــر : من أين آتي بها؟ من السوق يا ولدي.. من سوق هذه الدنيا، وكل شيء فيها يباع ويشترى بالعملة الصعبة.. إن الحقيقة غالية ومكلفة جداً، ولا يمكن أن يقترب منها إلا الأغنياء والأقوياء وأصحاب الجاه والسلطان..

صليحـــــــة : (في الجانب الآخر)عبد العلي ، ياعبد العلي ، يبدو ولدك منسجماً مع الوزير، يعلم الله ماذا يقول له..

عبد العلـــي : حقاً، يظهر أن ولدنا قد ضمن مستقبله يا صليحة..

صليحـــــــة : إنني أخاف على سلطان من هذا الرجل، إن أفكاره مخربة ومدمرة.. يا إلهي، لماذا قبلت المجيء مع هذا الزوج؟ (تنتقل

الإضاءة إلى الجانب الآخر)

الوزيـــــــر : (لسلطان) تذكر دائماً ما قلته لك وسوف تنجح.. (تقترب منهما صليحة)

صليحـــــــة : إنني لا أكاد أصدق نفسي، لقد تغيرت كثيراً يا ولدي رابح..

الوزيـــــــر : شيء طبيعي أن أتغير..

صليحـــــــة : برافو عليك، والله لقد وصلت..

الوزيـــــــر : (يضحك) بالجهد والجهاد ومراوغة العباد يا معلمتي..

صليحـــــــة : نعم وصلت، ولكن أين؟ (لنفسها)

الوزيـــــــر : الأسئلة الفلسفية لا تهمني، المهم هو أنني وصلت يا معلمتي.. وصلت وكفى..

صليحـــــــة : ما أغرب هذه الدنيا، صدفة غريبة ومجنونة هي التي أرادت هذا يا رابح..

الوزيـــــــر : قد تكون تلك الصدفة مجنونة يا معلمتي، ولكن تلميذك النجيب ليس كذلك..

صليحـــــــة : أنت تلميذي النجيب؟ وماذا تعلمت مني يا رابح؟

الوزيـــــــر : ماذا تعلمت؟ تعلمت كل شيء يا معلمتي..

صليحـــــــة : (لعبد العلـــي : بلهجة ساخرة) هل سمعت؟ قال كل شيء؟

الوزيـــــــر : لقد تعلمت كل شيء ينفعني، ورأيت أنه معقول ومقبول، نعم، كل شيء يا معلمتي، إلا تلك الأفكار الغريبة والعجيبة، وتلك الأحلام والأوهام التي تضر ولا تنفع..

صليحـــــــة : إذن فأنت لم تأخذ مني أي شيء يا رابح..

الوزيـــــــر : (يضحك) وذلك من فضل ربي علي..

صليحـــــــة : إنني أسألك يا رابح، هل أنت سعيد حقاً، أم أنك تخدع نفسك؟

الوزيـــــــر : هل أنا سعيد؟ لست أدري يا معلمتي، والله لست أدري، وهذا شيء لا يهمني، والمهم عندي هو أنني رجل ناجح ورابح، وهذا يكفي.. هل تعرفين يا معلمتي، بأن حضور النجاح قد يعوض غياب السعادة، أو قد يكون انتقاماً لاغتيال السعادة ..

صليحـــــــة : (تهمس لنفسها بلهجة حزينة) ما أتعسك يا ولدي رابح.. ربحك خسارة وأنت لا تدري..

الوزيــــــــر : هل تذكرين يا معلمتي، لقد قلت لنا يوماً ونحن في الفصل، إن الإنسان كي ينجح، عليه أن يوظف أحسن ما لديه؟

صليحـــــــة : نعم أذكر..

الوزيــــــــر : ورجعت إلى نفسي، وبحثت فيها جيداً، نعم بحثت طويلاً يا معلمتي، ولم أجد لدي شيئا حسناً، لذلك فقد غيرت كلامك قليلاً، فكان هو الحقيقة، أو ما يشبه الحقيقة..

صليحـــــــة : غيرته أو حرفته يا رابح؟

الوزيــــــــر : لست أدري، المهم أنني قرأته بحسب علمي وفهمي.. لقد قلت لنفسي، إنه لكي تنجح يا رابح، فإن عليك أن توظف أسوأ ما فيك، وهو كثير والحمد لله..

صليحـــــــة : أعوذ بالله، ما هذا الذي تقول يا رابح؟

الوزيــــــــر : صدقوني جميعاً، إنه لكي ننجح، لابد أن نوظف أسوأ ما لدينا..

صليحـــــــة : سلطان، إياك أن تصدق شيئاً من هذا الكلام، لأن السيد الوزير يمزح فقط..

سلطـــــــان : وماذا به هذا الكلام يا أمي؟

صليحـــــــة : ماذا به؟

سلطـــــــان : إنني أراه كلاماً واقعياً ومنطقياً، ثم إن نتائجه مضمونة يا أمي، ونتيجة هذا الكلام هو ما ترين بعينيك..

صليحـــــــة : وليس كل ما تراه العين حقيقي يا ولدي..

(تدخل المدام، وتفاجأ إذ ترى أن الضيوف لم ينصرفوا بعد)

20 - مشهد من الحرب الباردة..

المـــــــــدام : (للوزير على انفراد) ألم ينصرف هؤلاء بعد يا عزيزي؟

الوزيـــــــــر : اطمئني.. سينصرفون بعد حين..

عبد العلـــي : (وقد فهم ما تقول المدام للوزير) سننصرف يا مدام، ولكن ليس قبل أن يعرف السيد الوزير لماذا نحن هنا..

الوزيـــــــــر : لماذا أنتم هنا؟ الأمر سهل، أنتم في حاجة إلي وإلى تدخلاتي، فأنا اليوم هو السيد الوزير، والكل يخطب ودي..

صليحـــــــــة : (لنفسها) أخطأت يا سيادة الوزير.. كعادتك دائماً..

الوزيـــــــــر : هذا زمن صعب يا سيدتي، وأنت بلا شك في حاجة إلى أجرة إضافية، وهذا من حقك، ومن حق كل واحد في هذا البلد..

عبد العلـــي : نعم، من حقنا، ولكن من يفهم هذا؟

الوزيـــــــــر : ما رأيك يا عزيزتي، أتظنين أن السيدة صليحة تصلح..

المـــــــــدام : تصلح؟ تصلح لأي شيء يا عزيزي؟

الوزيـــــــــر : لأن تعطي دروساً خصوصية للأولاد..

المـــــــــدام : لا.. هي بالتأكيد لا تصلح، هل نسيت ما قلت لي عنها؟

الوزيـــــــــر : بخصوص ماذا يا عزيزتي؟

المـــــــــدام : بخصوص علمها الذي لا ينفع يا عزيزي، وبأنها امرأة عتيقة وقديمة قدم الدنيا، وبأنها محنطة و.. لا .. لا.

عبد العلـــي : يا سيادة الوزير، إن السيدة صليحة لم تأت إليك في شأن الدروس الخصوصية..

الوزيـــــــــر : آ.. عرفت.. إنها تريد وظيفة محترمة لهذا الولد المحترم.. ماذا أقول لكم؟ إنني لا أنفي إعجابي بهذا الشاب النجيب، في ظني أن أجمل ما فيه، هو أنه لا يشبه السيدة أمه، وهذه حسنة لا تقدر بثمن..

سلطـــــــــان : شكراً يا عمي الوزير، هذه شهادة أعتز بها..

الوزيـــــــــر : العفو يا ولدي، إنني فعلاً أقدرك، ويؤسفني غاية الأسف أنني لا أقدر أن أفعل شيئاً لأجلك..

سلطـــــــــان : ولكن يا عمي الوزير، إنني..

الوزيـــــــــر : لو جئتني في غير هذه الظروف لكان الأمر ممكناً، أنتم

تعرفون بلا شك، أننا نعيش اليوم مرحلة صعبة وحرجة جداً، وأن سوق التجارة في كساد، وأن سوق الشغل في كساد، وأن كل شيء في هذه البلاد في كساد، وكل هذا ناتج عن الظرفية الدولية، وعن الأزمة العالمية، وعن الفيضانات التي ضربت البلاد، وعن الإعصار الذي أتى على الأخضر واليابس في هونولولو..

صليحـــــــة : يا سيدي الوزير المحترم، لقد ذهبت بعيداً جداً..

الوزيـــــــر : (يضحك بخبث) وهكذا أنا دائماً..

صليحـــــــة : لماذا تقدم كل هذه الأعذار؟ نحن لم نسألك عن واقع العالم، ولا عن واقع هذا الكون..

الوزيـــــــر : (بلهجة خطابية) ومن حقكم أن تسألوا يا سيدتي.. نعم اسألوا، فأنتم مواطنون أحرار، ومن حق المواطنين الأحرار أن يسألوا بكل حرية، وأنا بينكم وأمامكم وزير مسؤول، ومن واجب الوزير أن يجيب.. (صمت) ثم لا تنسي يا سيدتي بأنني تلميذك، ولقد تعلمت منك أن أكون واضحاً دائماً، وأن أكون صريحاً، وأيضاً، تعلمت منك ألا أرضى بغير الحقيقة بديلاً أبداً..

صليحـــــــة : ما تسميه حقيقة يا رابح، ليس أكثر من أوهام.. هي أهام يا ولدي، فلا تحاول أن تخدع نفسك..

الوزيـــــــر : يا سيدتي المحترمة، هل تعرفين أن أخطر أفكارنا هي التي نسميها أوهاماً؟ لقد أصبحت وزيراً خطيراً جداً، وهذا ليس وهماً..

سلطـــــــان : وكيف أصبحت وزيراً يا عمي؟

الوزيـــــــر : الأمر سهل.. لقد راهنت يا ولدي وربحت..

سلطـــــــان : راهنت؟

الوزيـــــــر : نعم، راهنت على الزوجة الرابحة فربحت، وراهنت على الحزب الغالب فغلبت، وراهنت على الأفكار المتحركة فتحركت، وراهنت على الموجة العالية فعلوت وارتفعت، ولو أنني اتبعت أفكار السيدة أمك، ما كنت اليوم أنا هو أنا..

صليحـــــــة : وماذا أنت الآن؟ لقد ضيعت الأرض وما أدركت السماء.. أنت

مازلت حائراً وتائهاً كما عرفتك.. مازلت لا تعرف أنت من أنت ولا ماذا تريد..

الوزيـــــــــر : ما أريده أدركته .. أدركته كله وزيادة..

صليحـــــــــة : لا . يخيل إليك فقط يا ولدي..

الوزيـــــــــر : (لسلطان) عيب أمك يا سلطان، أنها لا تعرف هذه الدنيا، ولا تعرف شيئاً فيها، لقد ظلت في المدرسة تعطينا علماً بلا معنى وبلا جدوى، وقد علمتنا تعليم الخرفان وهي تجهل أن ما هذه المدن إلا السباع والضباع والذئاب والثعالب..

صليحـــــــــة : مرة أخرى أسألك سيدي، هل تعرف لماذا جئت إليك؟

الوزيـــــــــر : لماذا جئت؟ لأنك مدرستي، ولأنني مدين لك بأشياء كثيرة، أليس كذلك؟

صليحـــــــــة : أبداً..

الوزيـــــــــر : أشياء لها قيمة كبيرة عندك، أما عندي أنا .. (يضحك بدهاء) فليس لها أية قيمة..

صليحـــــــــة : لا .. أنت مازلت بعيداً عن الحقيقة..

الوزيـــــــــر : إنني مدين لك بحروف وبكلمات وبعبارات ولا شيء أكثر من هذا، ويمكنني اليوم أن أعطيك ثمنها..

صليحـــــــــة : حروفي وكلماتي وعباراتي ليس لها ثمن..

الوزيـــــــــر : أعطيك ثمنها مضاعفاً عشر مرات أو مائة مرة أو أكثر..

صليحـــــــــة : لا أنت لست مديناً لي بشيء، لأنك ما أخذت مني شيئاً، فعلمي مازال علمي، وجهلك مازال جهلك، ولكن أنا.. أنا بالتأكيد مدينة لك بشيء مهم، ولهذا جئت اليوم إليك..

الوزيـــــــــر : (لزوجته) هل سمعت يا عزيزتي؟ هي مدينة لي بشيء مهم..

صليحـــــــــة : هل تذكر.. ونحن بالقسم، ماذا كنت أقول لك؟

الوزيـــــــــر : بالطبع أذكر.. كنت تقولين أشياء كثيرة جداً..

صليحـــــــــة : نعم، ولكن هناك جملة واحدة لم يكن من حقك أن تنساها أبداً..

الوزيـــــــــر : (مضطرباً) إنني .. ماذا أقول لك؟ لم أعد أذكر هذه الجملة يا سيدتي..

صليحة : أما أنا فمازلت أذكرها، ولذلك فقد جئت إليك اليوم.. اسمع ماذا كنت أقول لك.. أنت أيها الغشاش لن تكون في يوم من الأيام شيئاً أبداً، ستخسر الدنيا والدين، ولن تفلح في أي شي، وإذا حدثت المعجزة، وكانت منك كائنة، فتعال إلي وابصق في وجهي هذا.. هل نسيت هذا أيها الوزير المحترم؟

سلطان : ماذا تقولين يا أمي؟ ما هكذا يبغي أن تخاطبي السيد الوزير..

الوزير : هذا كلام فقط يا سلطان، مجرد كلام، وقد كانت تقوله لكل التلاميذ..

صليحة : أبداً، أنا ما قلته إلا لك أنت وحدك، أتذكر هذا؟

الوزير : هو كلام يا سيدتي، كلام بلا معنى..

صليحة : بالنسبة للعقلاء، ليس هناك كلام بلا معنى.. لقد جئت إليك اليوم بعد أن أصبحت رجلاً ناجحاً، وذلك حتى..

الوزير : قالت حتى .. حتى ماذا؟

صليحة : حتى تبصق في وجهي.. هذا من حقك اليوم، فقد ربحت الرهان يا رابح..

الوزير : (محرجاً) لا .. لا .. إنني..

صليحة : (بلهجة آمرة) ابصق في وجهي قلت لك.. هذا أمر.. ابصق أيها الولد..

عبد العلي : (بهمس) يا صليحة.. هذا الذي أمامك ليس ولداً، ولكنه الوزير..

المدام : لا.. هذا كثير.. كثير جداً.. هذه إهانة يا عزيزي، وأنا لا أسمح بها، خصوصاً في بيتي..

الوزير : دعيها يا عزيزتي، دعيها، فهي امرأة لا تعرف الآن ما تقول، وما هذا الكلام إلا من تخاريف الشيخوخة..

صليحة : نعم، قد تشيخ الأجساد، ولكن القلوب التي في الصدور لا تشيخ أبداً..

الوزير : للزمن حكمه يا سيدتي، ولا شيء يملك أن يعود من حيث أتى، والدخان الذي هرب من النار، لا يمكن أن يعود إلى أمه النار..

المـــــــــدام : اسمع يا عزيزي، يمكنك أن تتسامح مع هذه العجوز المخرفة، فهذا حقك، أما أنا فلا وألف لا.. تفضلي أيتها المرأة ..

سلطـــــــان : إنها تطردها يا أبي..

المـــــــــدام : تفضلوا كلكم.. باب الخروج من هنا..

صليحـــــــة : شكراً على هذه المعلومة الخطيرة.. الباب من هنا، كنت أظن الباب من هناك..

المـــــــــدام : (تدق الجرس الصغير الذي بيدها) الحاج، موسى ، عيسى، عنتر، تعالوا كلكم.. (يدخل الخدم مسرعين)

رئيس الخدم : سيدتي.. هل تأمرين بشيء؟

صليحـــــــة : نعم، خذ هذه السيد العجوز ومن معها إلى خارج البيت، هل سمعت؟

رئيس الخدم : نعم سمعت يا مدام.. (لنفسه) ولكنني لم أفهم شيئاً..

المـــــــــدام : تعال أنت يا عزيزي، فلدي ما أقول لك..

(تخرج، يتبعها الوزير)

21 - في انتظار لحظة الصحو

(يلتف الخدم حول صليحة وزوجها وولدها)

حيـــــــاة : سيدتي.. ماذا وقع؟

صليحـــــة : ماذا وقع؟ لا شيء يا بنتي، سوى أن ذلك الذي كان لابد أن يقع قد وقع..

الخـــادم 3 : أعوذ بالله، هل رأيتم ما رأيت أنا؟ إن المدام غاضبة جداً.. غاضبة لحد الانفجار..

الخـــادم 2 : غاضبة؟ ها .. ها.. ومتى كانت سيدتك المدام غير غاضبة؟ دائماً هي هكذا يا سيدتي المدرسة، إن أبرز ما فيها هي أعصابها..

رئيس الخدم : من حقها أن تغضب يا موسى..

الخـــادم 2 : نعم نعم، وذلك ما كنت أقول أنا أيضاً، أليس كذلك أيها الزملاء؟

رئيس الخدم : خصوصاً إذا رأت وسمعت ما يغضب.. (وهو ينظر إلى جهة صليحة ومن معها).. أيها السادة، الزيارة انتهت، ويمكنكم التفضل بالانصراف..

الخـــادم 2 : يا خالي، ما هذا الذي تقول؟ ألا تعرف من تكون هذه المرأة؟

رئيس الخدم : نعم أعرف، ولا يعنيني أن أعرف..

الخـــادم 2 : في هذه الحال يا خالي يمكن..

رئيس الخدم : ما نحن إلا خدم يا ولدي، لا تنس هذا، وأهم شروط الخدمة الطاعة العمياء والبكماء، تذكر هذا أيضاً..

الخـــادم 2 : حقاً، الطاعة في مهنتنا هي كل شيء يا خالي، ولكن، لا بأس من الاجتهاد قليلاً، وبدلاً من أن تكون هذه الطاعة عمياء تماماً، نجعلها فقط عوراء أو حولاء أو.. عمشاء.. إيه، ما رأيك؟

رئيس الخدم : رأيي هو أن تبتعد عني..

سلطـــــان : يا أمي، متى تفهمين بأن هذه الدنيا قد تغيرت فعلاً ؟ متى ؟

صليحـــــة : لا شيء تغير يا ولدي سلطان، لا شيء..

سلطـــــــان : ولكن الناس يا أمي، انظري حولك جيداً، انظري هنا وهناك، إنهم لم يعودوا كما كانوا..

صليحـــــــة : أولئك هم أشباه الناس.. إنهم مجرد أشباه وأشباح، فإياك أن تنخدع بهم يا سلطان..

عبد العلـــي : ما أتعس حظ هذه الأسرة، لقد وصل كل الناس غيرنا، وأدركوا كل ما يريدون، وبقيت أنت حيث أنت يا صليحة، وبقيت أنا، وبقي معنا ولدنا سلطان.. بقينا في مؤخرة الركب المتحرك..

صليحـــــــة : نعم، لم أصل ياعبد العلي ، وتلك هي المأساة أو هي المهزلة.. لم أصل، مع أنني قضيت العمر كله أجري وأجري.. رأيت الشمس مشرقة في السماء فمشيت نحوها أو خلفها ـ لست أدري ـ وتجري مولاتنا الشمس وأجري، لحظة بعد لحظة، وساعة بعد أخرى، إلى أن تغيب الشمس مساء وتختفي، ترحل هي وأبقى أنا، أبقى وحدي في الظلام..

عبد العلـــي : يا صليحة، ليس هذا وقت الكلام، تعالي لنذهب..

صليحـــــــة : (وكأنها تكلم نفسها) من يصدق هذا؟ عاشقة الشمس والنور، تبقى في الظلام بلا شمس ولا نور؟ وعاشقة النظام تخنقها الفوضى.. ما هذا الذي نحياه يا الله؟

سلطـــــــان : يا أمي، ستتعبين كثيراً، إن العالم هو هذا..

صليحـــــــة : نعم، هو هذا، لأن هناك في الظلام من أراد له أن يكون هكذا....

عبد العلـــي : يا صليحة، هذا الانفعال يضر بصحتك، فتعالي نعود إلى البيت، وغداً قد يفتح الله علينا من حيث لا ندري.. حقاً، نحن لم نربح اليوم شيئاً، ولكننا ـ أيضاً ـ لم نخسر غير أوهامها المريضة..

صليحـــــــة : أنت تعرف ياعبد العلي أن الله هو الذي صنع هذا الكون..

عبد العلـــي : طبعاً أعرف..

صليحـــــــة : ولكنك لا تعرف من يسيره اليوم..

سلطـــــــان : يا أمي، ما هذا الذي تقولين؟ انتظري حتى نعود إلى البيت وأكملي كلامك هذا..

صليحـــــــة : لا، دع يدي أيها الولد، ألا ترى بأنني لم أكمل كلامي بعد..

يجب أن تعرفوا جميعكم أن الذي يحرك هذا العالم المجنون هو الشيطان الرجيم.. الشيطان ومعه عصابته وتلاميذه وحواريوه وسماسرته وأولاده وأحفاده وزبانيته وجلادوه ومجرموه وأعوانه وحراسه وعسسه ..

سلطـــــان : إنني لا أفهم يا أمي، لماذا كل هذا العقوق؟

صليحـــــة : لماذا؟ اعلم يا ولدي أن العقوق في بعض الذوات طبيعة ثانية، هل فهمت الآن؟

سلطـــــان : لا .. لا أظنني فهمت شيئاً من هذا الذي يحدث يا أمي..

رئيس الخدم : سيدتي، مرة أخرى أذكرك بأن الزيارة انتهت..

صليحـــــة : أعرف. أعرف..

سلطـــــان : (وهو ينظر إلى حياة نظرة فيها شيء من الألم ومن الخيبة) هو الوداع إذاً.. الوداع يا كل أحلامي التي بنيت على الرمال..

حيـــــــاة : أرجوك .. بالله لا تقل وداعاً يا سلطان، لأنه لابد أن نلتقي بوماً.. ومن حقنا أن نلتقي، أليس كذلك يا لويزة؟ (مخاطبة الكلبة)

صليحـــــة : هل تأكدت الآن يا سلطان، أن أولاد الريح لا يمكن أن ننتظر منهم إلا العاصفة..

عبد العلـــي : يا صليحة، إن الرزق من عند الرزاق..

صليحـــــة : وهل قلت أنا إلا هذا؟

عبد العلـــي : .. وإن الفتح لا يأتي إلا من عند الفتاح..

صليحـــــة : نعم، ولكن متى ياعبد العلي ؟ أخاف ألا يكون ذلك إلا بعد أن تهوي الفأس على الرأس، وبعد أن يصبح كل هذا العمران أطلالاً وخراباً..

حيـــــــاة : أظن هذه المرأة حزينة جداً، أليس كذلك يا أخي موسى؟

الخـــادم 2 : سبحان الله، وكيف عرفت هذا أيتها الجنية؟ حقاً أنت فتاة ذكية جداً..

حيـــــــاة : (بدلال وخجل) العفو.. العفو.. والله أخجلتني يا أخي موسى..

صليحـــــة : ألا ما أتعس هذه الدنيا ياعبد العلي ، عندما تختلط الأسماء

والأشياء، وتصبح الطيور بحجم الصقور، وتصبح الصقور زواحف تزحف على بطونها، الزيف أضحى اليوم سيداً ومولى..

سلطـــــــان : والحقيقة يا أمي، أين هي الحقيقة؟ إنني لم أعد أعرف شيئاً، وأخاف أن أفقد الثقة في كل الناس وفي كل الأشياء..

صليحـــــــة : الحقيقة؟ هي اليوم مجرد كلمة من بين الكلمات، كلمة مسلوبة المعنى أو مهربة المعنى..

سلطـــــــان : وهذا المعنى المهرب، أين يمكن أن أجده؟

صليحـــــــة : ابحث عنه وسوف تجده، ولابد أنك سوف تجده في يوم من الأيام.. ابحث عنه يا سلطان ولا تستسلم أبداً، وإياك إياك أن تفرط في حقك في المعرفة الحقيقية.. (تتأمل ما حولها في صمت) يا الله.. أهذا الذي نحيا اليوم حقيقة حقاً؟ ألا يكون مجرد كابوس مزعج، أو مجرد حلم من الأحلام أو مجرد وهم من الأوهام، وإن كان كابوساً، فإنه لابد سيتبخر قريباً، سيتبخر تحت أشعة الشمس الحارقة.. (صمت) غداً صباحاً يا ولدي سلطان سوف تختفي كل هذه الأرواح والأشباح المرعبة، وسيختفي مصاصو الدماء، وتختفي الخفافيش وكل أعداء الضوء والنور، ويختفي جميع الدجالين والمشعوذين والغشاشين.. يومها، لن يصح إلا الصحيح يا ولدي سلطان..

حيـــــــاة : هذه المرأة تقول كلاماً غريباً، وفي صوتها رنة عجيبة، ألا تكون حزينة يا أخي موسى؟

(على خلفية موال شجي الصوت واللحن تدير صليحة وجهها نحو باب الخروج تتحرك بخطى ثقيلة وبطيئة يمشي خلفها زوجهاعبد العلي وابنها سلطان يظل الخدم واقفين في مكانهم في حالة وجوم وصمت يلتفت سلطان نحو حياة، يبتسم لها ابتسامة حزينة، ويلوح لها بيده ثم يمضي يلوح له كل الخدم بأيديهم مودعين فجأة، تتوقف الحركة على الخشبة، ويبقى المشهد جامداً تماماً يتعالى صوت مغني الموال، ويزحف الظلام على الخشبة شيئاً فشيئاً إلى أن يعمّها تماماً)